بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للدعوة الإسلامية
قسم الدعوة والاحتساب

الالتزام وأثره في نجاح الدعوة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد:
إسماعيل بن نوح

إشراف:
الدكتور سعد أحمد
أستاذ مساعد بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية
بالرياض

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، وانزل عليه الكتاب ليخرج الناس من الظلمات الى النور بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد .

لقد كان من حكمة الله سبحانة وتعالى ، أن يرسل رسله وأنبيائه مبشرين ومنذرين ، ليقوم الناس بالقسط ، ويسود العدل والخير ، ولكى يكون الناس على الطريق المستقيم والسبيل الواضح المبين تحقيقا لقوله تعالى " قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين "(١)

ومن فضل الله ورحمته أن جعل سيدنا محمدا خاتم النبين وأنزل اليه خاتمة رسالاته التي فيها تم بناء الرسالات ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق هو اللبنة التى أتم الله بها البناء ، بناء الحق والعدل والتوحيد والرسالة .

ولما كانت الدعوه لا تنجح الا اذا التزم المسلم بما يدعو اليه ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول الملتزمين وهو القدوة الحسنة لامته الى قيام الساعه وقد تمثل هذا الالتزام فى الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين فكانوا شديدى التمسك بأوامر الله ورسوله .

ولذا قاموا دعاة للحق ، فقادوا الدنيا الى الطريق المستقيم بنجاح ليس له مثيل فى تاريخ البشرية ، ففتحوا شرق الدنيا وغربها فى أقل من قرن من الزمان ، مبلغين دعوة الاسلام التى استقرت فى نفوس أهل تلك البلاد المفتوحة استقرارا لا يزال أثره ملموسا فى عصرنا الحاضر .

ويوضح هذا المعنى قولة ربعى بن عامر الشهيرة لقائد الفرس ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله رب العباد "(٢)

---

(١) سورة يوسف الاية : ١٠٨

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ٣٩

ولم يكن سبب نجاحهم هذا الا لأنهم تمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الذى أخبر أن لا نجاح لأمة الا بالتمسك بهذين الأصلين فقال عليه الصلاة والسلام " تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى "(١) ونرى فى عصرنا الحاضر ، أن هذا التمسك يكاد ينمحى فلا نرى له أثرا فى المجتمعات الأسلامية ، وما فشلنا الا لتركنا التمسك بهذين الأصلين اللذين أخبرنا الصادق المصدوق بتحقق نجاحنا ان نحن تمسكنا بهما .

ومن هنا كانت أهمية الموضوع الذى اخترته ، وعنوانه " الالتزام وأثره فى نجاح الدعوة " لعل الله سبحانه وتعالى يفتح به على فأستنير به وأنتفع وينتفع به غيرى ان شاء الله .

ونظرا لاتساع البحث فى هذه المسئلة ، اذ لا يمكننى أن احيط بها فى بحث متواضع كبحثى هذا ، اقتصرت على النقاط المهمة ، التى استطعت تقصي مسائلها ومعلوم أن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

وختاما ، أرجو الله العلى القدير أن يكون هذا البحث المتواضع نقطة بداية للتحصيل والاجتهاد فى هذه المسئلة والانتفاع والتطبيق أكثر والله الهادى الى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

منهج البحث

وقد تألف هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول ودرست فى الفصل الاول مفهوم الالتزام وقسمته الى بحثين ، وبحثت فى المبحث الاول تعريف الالتزام لغة واصطلاحا ، وبينت بأن التعريف كان معروفا لدى سلفنا الصالح وكذلك لدى التابعين لهم بأحسان اذ ن وتعريف الالتزام ليس شيئا غريبا .

---

(١) الجامع الصغير فى احاديث البشر النذير للسيوطى جـ ١ ص ١٣٠
وانظر مشكاة المصابيح للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى (كتاب الايمان)

وتناولت فى المبحث أهمية الالتزام بالكتاب والسنه ، وبينت مدى أهمية الالتزام فى حياة المسلمين الدنيوية والاخروية .

وبحثت فى الفصل الثانى ، اركان الالتزام فى ثلاث مباحث وتناولت فى المبحث الاول الالتزام بالعقيدة وبينت معنى العقيدة وبحثت عن المراد بتوحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد الالوهية التى يجب على المؤمن أن يؤمن بجميعها .

ثم تكلمت عن باقى اركان الايمان التى يجب أن يلتزم بها كل مؤمن .

وتناولت فى المبحث الثانى العمل الصالح كركن من اركان الالتزام وهو نتيجة الايمان العميق بالله وبينت بأن العمل الصالح لابد أن يكون موافقا لما شرعه الله ورسوله .

وفى المبحث الثالث تكلمت عن الركن الاخير فى الالتزام وهو الالتزام بالاخلاق وعرفت الاخلاق من قبل الاقدمين أى الاخلاق عند اليونانيين ، ثم عالجت هذه المفاهيم الخاطئه عند هؤلاء بأخلاق الاسلام . وتطرقت الى بعض الصفات الحميدة التى لا بد أن يلتزم بها المسلم كالصبر والرحمة والاخلاص والتواضع .

وتناولت فى الفصل الثالث أثر الالتزام بالكتاب والسنة ، وبحثت فى المبحث الاول أثر الالتزام فى الفرد والجماعة ، ومن هذا المبحث سردت تاريخ حياة الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم ممن يحملون راية الاسلام عاملين فى سبيل الله وتكلمت عن اثر الالتزام فى الجماعة موضحا هذا الاثر فى الجماعة الاولى من هذه الامة .

وبحثت فى الفصل الثانى أثر الالتزام فى الدعوة ، وتكلمت عن انتشار الاسلام الى الافاق الواسعة ، نتيجة الالتزام بمبادئ الاسلام الحنيف ، ولولا التزام هؤلاء المسلمين لما انتشر الاسلام كما نشاهده الان .

وبحثت فى المبحث الثالث أثر الالتزام فى تقدم المسلمين وظهور الحركة الاسلامية تكلمت فى هذا المبحث عن تقدم الامة الاسلامية وسردت عن اثر تقدم المسلمين

فى الاندلس ودولة الموحدين فى شمال أفريقيا ، وبحثت أيضا عن ظهور الحركات الاصلاحية فى العالم الاسلامى كرد فعل ناشئ عن تخلف الامه الاسلامية عن مسايرة الحياة والدين كالحركة الاصلاحية فى الجزيرة العربية والحركة السنوسية وحركة الاخوان المسلمين ، ودرست تلك الحركات التى تهدف الى أصلاح المجتمع الاسلامى واعادة مجد الاسلام من جديد ومدى تأثيرها فى العالم الاسلامى .

وفى الخاتمه أوضحت النتائج التى توصلت اليها أثناء البحث . وفى الختام اشكر الله سبحانه وتعالى الذى أنعم على بنعمته الاسلام والايمان ، فجعلنى من اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى ارسله الله رحمة للعالمين .

ثم وفقنى الله سبحانه وتعالى لتعلم المبادئ الاسلامية وفق المناهج الصحيحة على أيدى الدعاة المخلصين والعلماء العاملين الصالحين ، وأرجو من العلى القدير أن يفتح ابواب رحمته من طلب العلم والمعرفة وأن أسلك هذا المسلك الذى سار عليه سلفنا الصالح رحمه الله عليهم فى الاعتصام والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعه وأن تأمر عليكم عبد فأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة . . . . . (١)"

ثم أشكر الى فضيلة الدكتور سعد أحمد المشرف على بحثى الذى لم يأل جهدا فى توجيهاته وحسن متابعته مما كان له أثر كبير فى نفسى ، ولا يسعنى فى هذا المقام الا أن أدعو الله سبحانه أن يمد فى عمره مع دوام الصحه والعافية لخدمة هذا الدين الحنيف وخدمة أبناء المسلمين .

واخيرا أشكر لفضيلة مدير المعهد العالى للدعوه الاسلامية ، وفضيلة وكيل المعهد عنايتها الفائقة التى لمستها من خلال تواجدى فى المعهد خلال سنى الدراسة .

---

(١) رواه الترمذى فى سننه الجزء الرابع ، ابواب العلم باب الاخذ بالسنه واجتناب البدعه ص ١٤٩

انظر شرح الفشنى على الاربعين النووية ، الشيخ احمد بن الشيخ حجازى الفشنى ص ٨٥

واسـال اللـه تعالـى أن يوفقـنا واياهـم الى ما يحبـه ويرضـاه .

وصلـى اللـه على سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصحبـه أجمعـين والحمـد للـه رب العالمـين .

الفصـــــل الاول

فـي معـنى الالـتزام ومفهـومـه .

يتضمـن هـذا الفصـل المبحثين .

المبحـث الاول : معنى الالـتزام لغـة واصطلاحـا .

المبحث الثانـي : أهمية الالـتزام بالكتـاب والسـنة .

المبحـــث الاول

فـي معـنى الالـتزام لغـة واصطـلاحـا .

معـنى الالـتزام لغـة

الالتزام مصدر من فعل التزم ، فهـو الاعتنـاق . (١)

" الالـتزام من مـادة " لـزم اللـزوم معروف ، والفعـل لزم يلـزم والفاعل لازم ، والمفعول به ملزوم .

لزم الشيء يلزمه لزما ولـزوما ولازمـه ولزاما والتزمـه والـزمه ايـاه فالتزمـه " . (٢) اهـ

جاء في المعجم الوسـيط . " لزم الشيء لزوما ثبت ودام ، وكذا مـن كذا نشـأ عنـه وحصل منه .

الشيء فـلان ، وجب عليـه يقـال : لزمه الغـرم ولزمـه الطلاق .

والعمل : داوم عليـه ، والمريض السرير : لم يفارقه . والغريم : تعلق به .

الزم الشيء : اثبته وادامـه ، وفلانا الشيء : اوجب عليـه .

ويقال الزمه المال والعمل والحجـه وغير ذلك . ويقال الزمه به . والتزمت خصمـي اى حجته .

لازمه ملازمة ولزاما داوم عـليـه ، ويقـال لازم الغريم ، تعلق به . وفلانا عانقه . التزم الشيء او الامـر : اوجب على نفسه .

وفلانا للدولة : تعهد ان يقدر قدرا مـن المـال لقاء استغلالـه ارضـا من املاكهـا فهو ملتزم " (٣) اهـ

وجاء في مفردات في غريب القرآن

لزم : لزوم الشيء طول مكثه ، ومنه يقال لزمه يلزمه لزوما .

والالزام ضربان : الزام بالتسخير من الله تعالى أو من الانسان .

---

(١) الصحاح تاج اللغه وصحاح العربية ، اسماعيل بن حميد الجوهري جـ ٥ ص ٢٠٢٩

(٢) لسان العرب ، لابن المنظور . م ١٢ ص ٥٤١

(٣) المعجم الوسيط : ابراهيم مصطفى ، الجزء الثاني ص ٨٢٩ - ٨٣٠

والزام بالحكم والأمر . نحو قوله تعالى " انلزمكموها وأنتم لها كارهون "(١)
وقوله تعالى " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى "(٢)
وقوله تعالى " فسوف يكون لزاما "(٣) أى لازما . " ا هـ (٤)
وذكر فى الصحاح : لزمت الشيء ألزمه لزوما ولزمت به ولازمته واللزام : الملازم قال ابو ذؤيب :

فلم ير غير عادية لزاماه كما يفجر الحوض اللقيف ،

العادية : القوم يعدون على ارجلهم، اى فحملتهم لزاما كأنهم لزموه لا يفارقون ما هم فيه والالتزام الاعتناق " ا هـ (٥)

---

(١) سورة هود ، اية ٢٨
(٢) سورة طه ،اية ١٢٩
(٣) سورة الفرقان اية ٧٧
(٤) مفردات فى غريب القرآن للاصفهانى ص ٤٥٠

واذا تأملنا آيات القرآن الكريم نجدها متضمنه هذا المعنى ، مثال ذلك . قوله تعالى " وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه "(١)

قال الزجاج : ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق .

وقال ابن عباس - طائره - عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو ملازمه اينما كان .

وقال مقاتل والكلبى : خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به .

وقال الحسن : الزمناه طائره اى شقاوته وسعادته وما كتب له من خير وشر وما طار له من التقدير ، أى صار له عند القسمة من الازل ، وقيل اراد به التكليف . أى قلدناه التزام الشرع وهو بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به وينزجر عما زجر عنه امكنه ذلك" (٢) فالمعنى الزمناه غله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلاده والغل لا ينفك عنه مجال .

وعن ابن عيينه " وهو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى الزمناه ما طار من عمله والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه . وعنه مثل العرب تقلد طوق الحمامة ، وقولهم : الموت فى الرقاب " . (٣)

وقوله تعالى " ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى " (٤) اى لازما لهولاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه خصم "(٥)

وقوله تعالى " قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما "(٦)

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله " قل ما يعبأ بكم " يقول لولا ايمانكم وأخبر الله الكفار انه لا حاجة له بهم اذا لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الله المؤمنين ، وكذبتم أيها الكافرون .

فسوف يكون لزاما : أى فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعنى مقتضيا لهلاككم وعذابكم ودماركم فى الدنيا والاخرة . ويدخل فى ذلك يوم بدر .

قال الحسن البصرى : فسوف يكون لزاما يعنى يوم القيامة لا منافاة بينهما "(٧)

---

(١) سورة الاسراء الاية ١٣

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى جـ ١٠ ص ٤٤٠ - ٤٤١

(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤١

(٤) سورة طه الاية ١٢٩

(٥) ارشاد عقل السليم لابن السعود جـ ٣ - ص ٤٦٨

(٦) سورة الفرقان، الاية : ٧٧

(٧) تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير ، جـ ٣ ص ٣٣٠

وقال تعالى " فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم "(١)

قال ابن كثير فى تفسير الاية : اى خذ بالقرآن المنزل على قلبك فانه هو الحق وما يهدى اليه هو الحق المفضى الى الصراط المستقيم الموصل الى جنات النعيم والخير الدائم (٢)

وقال القرطبى " يريد القرآن الكريم وان كذب من كذب ، وانك لعلى صراط مستقيم أى يوصلك الى الله ورضاه وثوابه "(٣)

وقال الفخر الرازى (٤) بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بموجبه فانه الصراط المستقيم الذى لا يميل عنه الا ضال فى الدين ، ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين فى منافع الدين بين ايضا تأثيره فى منافع الدنيا فقال " وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون "

وقوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "(٦)

وقال الطبرى فى تفسير الايه يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا باسباب الله جميعا . يريد بذلك تعالى ذكره وتمسكوا بدين الله الذى امركم به وعهده الذى عهده اليكم فى كتابه اليكم من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لاوامر الله ".

وعن قتادة فى تفسير قوله ولا تفرقوا أى ان الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم اليكم فيها ، وحذركموها ونهاكم عنها ورضى لكم السمع والطاعه والالفه والجماعة فأرضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم ان استطعتم ولا قوة الا بالله (٧)

وفسر ابن كثير الاية : قيل بحبل الله ، أى بعهد الله كما قال تعالى " ضربت عليهم الزلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وبحبل من الناس "(٨)

أى بعهد وذمه . وقيل بحبل من الله يعنى القرآن كما فى حديث الاعور عن على مرفوعا فى صفة القرآن وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم .(٩)

اذن يأتى معنى الالتزام فى القرآن الكريم " هو ملازمة القرآن الذى نزل على سيدنا

---

(١) سورة الزخرف، الاية ٤٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ ص ١٢٨

(٣) الجامع لاحكام القرآن - للقرطبى جـ ١٦ ص ٩٣

(٤) تفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢٧ ص ٢١٤

(٥) سورة الزخرف الاية ٤٤

(٦) سورة ال عمران الاية ١٠٣

(٧) جامع البيان فى تفسير القران لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى جـ ٤ ص ٢١

(٨) سورة الـ عمران الاية ١١٢

محمد صلى الله عليه وسلم " كما ذكره ابن كثير . وقيل " التمسك بدين الله الذى امرنا الله به .

وكما ورد فى القران الكريم ورد ايضا فى السنة المطهرة بهذا المعنى . وعن زيد بن أرقم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال " أما بعد الا ايها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وانا تارك فيكم ثقلين ، اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا كتاب الله واستمسكوا به (١) فحث على كتاب الله ورغب فيه .

ثم قال " واهل بيتى ، اذكركم الله فى اهل بيتى ، اذكركم الله فى اهل بيتى ، اذكركم الله فى اهل بيتى " .

وزاد فى حديث جرير كتاب الله فيه الهدى والنور . من استمسك به ، واخذ به ، كان على الهدى ، ومن أخطاه ضل(٢) .

الحديث دليل واضح على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه لان فيهما نور وهداية فمن أخذ واستمسك بهما كان على الهدى ومن ترك وابتعد عنهما كان على الضلال المبين .

٢ - وعن عرباض بن سارية يقول " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يارسول الله ان هذه لموعظة مودع فماذا تعهد الينا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك فمن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وان عبدا حبشيا فان المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد "(٣) وفى الحديث كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها(٤) ،

٣ - وعن سفيان بن عبد الله الثقفى : قال قلت : يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا،لا أسأل عنه أحدا بعدك (وفى حديث أبى أسامه غيرك) قال " قل آمنت بالله فاستقم "(٥) قال القاضى عياض رحمه الله هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا(٦) أى وحدوا الله وامنوا

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ باب من فضائل على بن أبى طالب ص : ١٨٧٣

(٢) المرجع السابق ص : ١٨٧٤

(٣) سنن ابن ماجه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ص : ١٥

(٤) عون المعبود شرح ابى داود لابى طيب محمد شمس الدين جـ ١٢ ص ٣٦٠

(٥) رواه مسلم جـ ١ - كتاب الايمان . باب جامع اوصاف الاسلام ص ٦٥

(٦) سورة فصلت الاية : ٣٠

بـه ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والزموا طاعته سبحانه وتعالى الى ان توفوا على ذلك ، وعلى ما ذكره المفسرون من الصحابة فمن بعدهم وهو معنى الحديث ان شاء الله "(١)

اذن يظهر معنى الالتزام فى السنة المطهرة : هو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ، وقبل توحيد الله ولاستقامة عليه .

ومن خلال ما عرض فى الآيات القرانية والاحاديث النبوية يمكننى أن استنبط بأن مادة الالتزام والتمسك والاعتصام قد استعملت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

لذا فان تعريف الالتزام ليس شيئا غريبا عند السلف وفى اصطلاحات المفسرين والمحدثين .

وقد عرف معنى الالتزام لغة وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة اذن يكون الالتزام اصطلاحا : هو التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا واعتقادا .

ولتوضيح ذلك : أ - من هذا التعريف يتبين بأن الالتزام هنا هو " التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ، بامتثال اوامره ولا بتعاد عن نواهيه . يتمثل فى اعتقادهم واقوالهم وسلوكهم " ، فاذا كان الانسان يعتقد بأن الله واحد ، صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، فانه قد آمن ايمانا جازما هناك خالقا وراء هذا الكون يتصف بصفات الكمال وينزه عن الافات ، وقال تعالى آمراعباده ان تكون العبادة لله وحده لا شريك له . فقال سبحانه " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " (٢)

أى يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له ، فانه هو الخالق الرزاق المنعم المتفضل على خلقه فى كل آن وحال ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ " أتدرى ما حق الله على العباد ؟ قال الله ورسوله اعلم، قال ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . ثم قال ، أتدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم " (٣)

ومن هذا الاعتقاد الجازم يتمثل العبد بما يعتقد فى افعاله واقواله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ : ٢ ص ٩

(٢) سورة النساء الاية : ٣٦

(٣) تفسير القران العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٤٩٤

متمشيا بما اراده الله ورسوله . قال تعالى " قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين(١)

وقال تعالى " قل ان صلاتي ونسكي ومحيايا ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين(٢) .

ب - ومن هذا الاعتصام والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله يكون العبد ناجيا في الدنيا فائزا في الاخرة ، قال تعالى مبشرا للمؤمنين بقوله " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة(٣) ان الذين اخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله على ما شرع لهم ، وتقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا اولياءكم أي قرناوكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم وفي الاخرة نؤسكم من الوحشة في القبور وعند النفخة وفي الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم الى جنات النعيم(٤) وقوله تعالى " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبه ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون(٥) هذا وعد الله تعالى لمن آمن به وعمل صالحا - وهو العمل المتتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو انثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله . وان هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله - بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وان يجزيه بأحسن ما عمله - في الدار الاخره ، والحياه الطيبه تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت . أما ابن عباس وجماعة فانهم فسروها بالرزق الحلال الطيب(٦) ! وروى الترمذي عن ابن عباس ابن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ، وقال الترمذي حديث صحيح(٧) .

جـ - وبعدم التمسك والالتزام بالكتاب والسنه يصبح الانسان عاصيا لله أو فاسقا به خسر الدنيا والاخره ، وفي الدنيا لعنة من الله ، وفي الاخرة عذاب اليم ، قال سبحانه تصويرا لبني اسرائيل بقوله : لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(٨) .

---

(١) سورة الانعام الاية - ١٦١
(٢) سورة الانعام الاية - ١٦٢ - ١٦٣
(٣) سورة فصلت الايسة - ٣٠ - ٣١
(٤) تفسير القران العظيم لابن كثير جـ ٤ ص ٩٨
(٥) سورة النحل الاية - ٩٧
(٦) تفسير القران العظيم جـ ٢ ص ٥٨٥
(٧) تحفة الاحوذي جـ ٤ ابواب الزهد باب ما جاء في الكفاف حديث ٢٤٥٣
(٨) سورة المائده الاية ٧٨ - ٧٩

وهذه اللعنة من الله عليهم لانهم كانوا لا ينهون المعاصي وعن معاودة المعصية وقد فعلها أو تهيأ لفعلها ، ويحتمل ان يكون وصفهم بأنهم قد فعلوا المنكر باعتبار حالة النزول لا حالة ترك الانكار وبيان العصيان والاعتداء بترك التناهي عن المنكر لان من أخل بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه وتعدى حدوده .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الاسلامية واجل الفرائض الشرعية ولهذا كان تاركه شريكا لفاعل المعصية ومستحقا لغضب الله وانتقامه كما وقع لاهل السبت ، فان الله مسخ من لم يشاركهم في الفعل ولكن ترك الانكار عليهم كما مسخ المعتدين فصاروا جميعا قردة وخنازير " ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد "(١) ثم ان الله قال مقبحا لعدم التناهي عن المنكر "(٢).

هؤلاء الذين نسوا الله فنسيهم الله في الاخرة ، فلا رحمة ولا شفاعة لهم وكانوا فاسقين " ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون " (٣) .

د - والصحابة رضوان الله عليهم وسلفنا الصالح فهموا مراد معنى الالتزام فهما دقيقا . وكانوا يطبقونه في حياتهم ولا يجرؤن على تجاوز عن الامر مهما كان ، فقصة انفاذ ابي بكر جيش أسامة بقيادته مع ان في هذا الجيش كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم وخضوعهم له دلالة على التزام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الامر .

وكذلك في قتال مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لما امتنع بعض الناس عن اخراج الزكاة ، وهم ابو بكر بقتالهم وأعرض عنه عمر رضي الله عنه محتجا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تراجع بعد ان شرح الله صدره .

وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال " لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر بن الخطاب لابي بكر ، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله .

فقال ابو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فأن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة ق الاية - ٣٧

(٢) فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني م - ٢ ص ٦

لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو الا ان رايت الله عز وجل وقد شرح صدر ابى بكر للقتال فعرفت أنه الحق(١) لذا يظهر موقف الصحابة رضوان الله عليهم نحو حكم الله فهؤلاء قدوة فى الالتزام بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب الامر بقتال الناس ص ٥١ ٥٢

المبحث الثانى
فى اهمية الالتزام بالكتاب والسنه

جرت العاده فى النوع الانسانى عموما ان لا يلتزم بالشئ الا عندما يتحقق له امرين :

الامر الاول : أن يدرك نفعه بعقله ويعرف مدى الضرر الذى سوف يلحق به عند تركه .

الامر الثانى : أن يحب هذا الشئ بقلبه لان فيه ما يسره ويبتعد به مما يضره ويؤلمه .

فاذا ما توافر هذان الامران فى شئ التزم به لانه يدرك بعقله مقدار ما يحققه له ذلك الامر من منافع ويحقق له من رغبات كما أنه ايضا يستميل قلبه بما يدخله من البهجة والسعادة عليه .

واذا طالعنا كتاب الله وجدنا الامرين جميعا متوفرين مكفولة فى شريعة الله سبحانه لذا كان القران الكريم يكفل كل الضمانات التى يحتاج اليها البشر فى الدارين الدنيا والاخرة .

وذلك أن القران الكريم(١) هو هداية الخالق لاصلاح الخلق وشريعة السماء لاهل الارض . وهو تشريع العالم الخالد الذى تكفل بجميع ما يحتاج اليه البشر فى امور دينهم ودنياهم فى العقائد والاخلاق وفى العبادات والمعاملات والاقتصاد والسياسه والسلم والحرب والمعاهدات والعلاقات الدولية . وهو فى ذلك حكيم كل الحكمة لا يعتريه خلل ولا اختلاف ولا تناقض . وصدق الله " افلا يتدبرون القران ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(٢) .

واصيل غاية الاصالة ، وعدل غاية العدالة ورحيم غاية الرحمة ، وصادق غاية الصدق وصدق الله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم(٣))

القران الكريم هو المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ولامته ، فهو كلام الله سبحانه " لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد "(٤) فهو اصدق الكلام لا يتبدل ولا يتغيير بتغيير الاجيال والاحقاب مهما تكلف الاعداء لاطفاء شعاعه فان سبحانه حفظه من كيد الكائدين . قال تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(٥) .

---

(١) المدخل الى علوم القران الدكتور محمد ابو شهبة ص ٨
(٢) سورة النساء الاية ٨٢
(٣) سورة الانعام الاية ١١٥
(٤) سورة فصلت الاية ٤٢
(٥) سورة الحجر الاية ٩

وهذا القران الذى تعجب به الجن حين يسمع أول ما سمع منه .

قال تعالى " قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا " (١)

وقال صلى الله عليه وسلم مشيرا الى صفة القران الكريم " ان هذا القران مأدبة الله فأقبلوا مأدبته ما استطعتم " .

ان هذا القران حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقض عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد أتلوه فان الله يأجركم بتلاوته كل حرف عشر حسنات اما أنى لا اقول الم حرف ، ولكن الف ، ولام ، وميم . (٢)

وقال الوليد المغيرة وصفا لهذا القران : والله ان لقوله الذى يقول حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته " (٣)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قراه وعلم الصحابة كيف يقرؤنه ويطبقونه وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمعه من اصحابه .

وعن عمرو بن مرة قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم اقرأ على قلت آقرأ عليك وعليك أنزل قال فانى أحب أن اسمعه من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " (٤)

قال أمسك فاذا عيناه تذرفان " .(٥)

القران الكريم الذى تعبدنا بتلاوته وامرنا بأتباعه ولزوم احكامه فهو قد تناول فى نحو خمسمائة آية جملة القواعد والاصول التشريعية وبعض الاحكام العقدية والخلقية والعملية . وعكفت جمهرة من العلماء السابقين والمتأخرين على تفصيل اياته هذه ووضعوا عليها مصنفاتهم التى تحمل فى غالبها عنوان تفسير آيات الاحكام .

وقد نظر رجال الشريعة فى هذه الاية وقسموها بأعتبار موضوعها الى قسمين اساسيين :

الاول منهما : العبادات وتشمل نحو من ١٤٠ آية .

والثانى : المعاملات وهى بدورها كما لاحظ ذلك الشيخ عبد الوهاب خلاف

---

(١) سورة الجن الاية : ١ - ٢

(٢) رواه الحاكم جـ ١ ص ٥٥٥ ، وانظر كتاب الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٥٤

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٦١

(٤) سورة النساء الاية : ٤١

(٥) البخارى جـ ٥ كتاب تفسير سورة النساء باب فكيف اذا جئنا ص ١٨٠

تتفرع الى سبعة أقسام .

منها ما يمكن ادراجه فى القانون العام وهو :

١ - الاحكام الدستورية الضابطة لنظام الحكم واصوله والمحددة للعلاقة بين الحاكمين والمحكومين والمقررة لحقوق الافراد والجماعة وهى نحو عشرة آيات .

٢ = الاحكام الدولية وهى المنظمة للعلاقة بين الدولة الاسلامية وبين غيرها من الدول فى حالتى السلم والحرب وذلك خمس عشرة آية .

ومنها ما يعود الى النظم الاقتصادية التى شرعها الاسلام أو ما يتصل بها مما يسمى عند الفقهاء بالمعاملات وهى :

١ - الاحكام الاقتصادية والمالية القائمة على تنظيم العلاقات المالية من موارد وطرق انفاق وغيرها وهى نحو عشرة آيات .

٢ - الاحكام المدنية وهى المتعلقة بمعاملات الافراد ومبادلاتهم من بيع واجارة ورهن وكفالة وشركة ومداينة وغير ذلك وهى نحو سبعين آية .

ومنها ما يتصل بالحدود والقصاص وهو :

الاحكام الجنائية المتعلقة بما يصدر عن المتلفين من جنايات وجرائم وعلى ما يترتب على ذلك من عقوبات تحفظ على الناس انفسهم واعراضهم وحقوقهم وهى نحو ثلاثين آية .

ومنها ما يكفل نظام الاسرة ويحدد افرادها وهو :

احكام الاحوال الشخصية المتناولة للزواج والطلاق والارث والوصية والحجر . ويشمل هذا القسم نحوا من سبعين آية .

ومنها ما هو من توابع تلك الاقسام كلها يهيمن عليها وينظمها ويكشف عن طريق تطبيق تلك الاحكام . وهذا القسم يسمى بالاجراءات الشرعية والترتيبات التى تمكن كل ذى حق من حقه وهى :

احكام المرافعات ، وهى كل ما يتعلق بالقضاء والشهادة واليمين مما تقام على اساسه الاجراءات القضائية للنظر فى حقوق المتنازعين وضمان تحقيق العدل فيما بينهم ، ويشمل نحو ثلاث عشرة آية " (١)

---

(١) علم اصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ص : ٣١ - ٣٢

وجملة هذه الاحكام الواردة فى كتاب الله منها ما تلمح فى التدرج فى التشريع تلبية لمقتضيات تطور المجتمع الاسلامى انذاك مثل قضية تحريم الخمر .

ومنها ما يؤكد على التيسير ورفع الحرج ، قال تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "(١) وقال جل وعلا " يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا "(٢) .

ومنها ما هو قواعد عامه كلية واصول ثابته شرعية كالايات الواردة بشأن التصرفات المالية مثل قوله تعالى " ياايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل "(٣) وقوله تعالى " فأن طبن لكم عن شيئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا "(٤) .

والايات المتعلقة بلزوم العدل وتقوى الله عند رد العدوان مثل قوله تعالى " فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله "(٥) .

والايات المحددة للمسئولية وما ينتج عنها من جزاء كقوله تعالى " ولا تزر وازرة وزر اخرى "(٦) وقوله تعالى " ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى "(٧) وقوله " وان ليس للانسان الا ما سعى "(٨) وقوله " انما تجزون ما كنتم تعملون "(٩) .

والايات المتعلقة بالتكليف بما فى الطاقة والوسع مثل قوله تعالى " لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا "(١٠) وقوله تعالى " لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "(١١) .

---

(١) سورة البقره الاية ١٨٥

(٢) سورة النساء الاية ٢٨

(٣) سورة النساء الاية ٢٩

(٤) سورة النساء الاية ٤

(٥) سورة البقره الاية ١٩٤

(٦) سورة فاطر الاية ١٨

(٧) سورة الانعام الاية ١٦٤

(٨) سورة النجم الاية ٣٩

(٩) سورة التحريم الاية ٧

(١٠) سورة الطلاق الاية ٧

(١١) سورة البقره الاية ٢٨٦

وفى الامر بالوفاء والعدل قوله تعالى " وليوفوا نذورهم "(١) وقوله " ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل "(٢)

وفى رفع الحرج ورفع الاذى أو الخطر مما يترتب عليه الضرر ، قوله تعالى " الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان "(٣) وقوله " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه "(٤) — وقوله الا ما اضطررتم اليه "(٥) وقوله " وما جعل عليكم فى الدين من حرج "(٦)

ومن الاحكام ما هو قطعى الدلالة فى معناه كالايات الواردة فى بعض القضايا الجزئية على نحو مسائل العبادات او قضايا الاحوال الشخصية كالوارث والطلاق والزواج والعدة ، ومنها ما ورد فى صيغ مجمله وهو الاكثر تدور الاحكام فيه حول المصلحة وجودا وعدما فأين وجدت المصلحه فثم شرع الله ، وفى هذا المعنى يقول الاستاذ مصطفى الزرقاء " ولهذا الاجمال فى نصوص القرآن مزية هامة بالنسبة الى احكام المعاملات المدنية والنظم السياسية والاجتماعية ، فانه يساعد على فهم تلك النصوص المجمله وتطبيقها بصورة مختلفة يحتملها اللفظ فيكون باتساعه قابلا لمجاراة المصالح الزمنية وتنزيل حكمة على مقتضياتها مما لا يخرج عن اسس الشريعة ومقاصدها — وذلك كما ورد فى القران النص على الشورى السياسية دون تعيين شكل خاص بها ، فكانت شاملة لكل نظام حكومى يجتنب فيه الاستبداد ويتحقق فيه من تشاور واحترام صحيح لراى اولى الامر . والعلم فى الامة . سواء أكان نظاما جمهوريا أو نظام خلافة دستورية أو غير ذلك مما لا استشار فيه لفرد أو لفئة . بحسب ما تمليه المصلحه العامة)(٧)

فأذا قسنا على هذا ما من مجال للتصرف بالحكم داخل الاطار الشرعى وفى حدود المصالح الثابته والقواعد الكلية العامه للشريعة الاسلامية أدركنا ما فى هذا التشريع

---

(١) سورة الحج الاية : ٢٩

(٢) سورة النساء الاية ٥٨

(٣) سورة النحل الاية ١٠٦

(٤) سورة البقره الاية ١٧٣

(٥) سورة الانعام الاية ١١٩

(٦) سورة الحج الاية ٧٨

(٧) المدخل الفقهى العام — مصطفى الزرقاء جـ ١ ص ٦١ - ٦٢

من مرونة وتطور يبعدان كل البعد عن الجمود الا جمودا يمليه لزوم الحق وتنكب الجور ، وتقتضيه حماية النصوص للعدالة والحقوق .

هذا (١) وقد وردت السنه الشريفة النبوية مؤكدة لاحكام القران فيما هو قطعي الدلاله من نصوصه لا تقبل التبديل والتغيير والتعميم والتخصيص مثل اقامة الصلاة وايتاء الزكاء والصوم والحج والنهى عن الشرك بالله وعن شهادة الزور وما ورد من لزوم الوفاء بحقوق الوالدين والنهى عن قتل النفس بغير حق .وقد وردت ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرة ومفصلة .

وتلك وظيفة الرسول وهى البلاغ والبيان يدل عليها قوله تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون "(٢) .

ومن السنه ما ليس تأكيدا ولا تفسيرا ولكنه عند البعض وحى وعند الاخرين اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم اقره عليه الله مثل تحريم الحمر الاهلية وكل ذى ناب من السباع ، وتحريم نكاح المرأه على عمتها أو خالتها ، وجواز خيار الشرط وجواز الرهن وما الى ذلك مما اساسه القران او مرجعه تطبيق المبادىء العامه لشريعة القران التى ملأت نفسة صلى الله عليه وسلم وكانت له اصلا يقيس عليه ويعتمده فى ما يأمر به أو ينهى عنه قال تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما ينهاكم عنه فأنتهوا "(٣)

---

(١) وجوب تطبيق الشريعه الاسلاميه البحوث المقدمه لمؤتمر فقه ١٣٩٦ ص ٢٥

(٢) سورة النحل . الاية : ٤٤

(٣) سورة الحشر الاية : ٧

قد ذكرت فيما سبق عن القران الكريم والسنة المطهرة انهما مصدران أساسيان لتعاليم الاسلام التى امرنا الله أن نلتزم بها ونتبع احكامها .

وفى هذا الاطار اتكلم عن بعض لمحات القران والسنة المتجلية فى مبادئ الاخاء والمساواة والعدل وغيرها باعتبارها من أهم الاسس التى تبنى عليها حياة الناس .

ومدى اهتمام تعاليم الاسلام بهذه الاشياء .

ان مبادئ الاخاء والعدالة والمساواة وغيرها من اهم اصول الشرعية والمبادئ الاسلامية . تشهد لذلك كثير من نصوص القران والسنة القولية والعملية .

وتؤكدها التربية الدينية ، والعبادات التى امر بهما الله عبادة من صلاة وصيام وحج وزكاة . فاذا المسلمون اخوة متحابون متراحمون تتكافأ دماؤهم . لا فضل لعربى على أعجمى بينهم الا بالتقوى . سوت بينهم الشريعة ففى اليوم الاول لنزولها فجعلت من الاجناس والفئات والالوان الملتقية على كلمة الله امة متكاملة يتساوى افرادها فى كل حقوق . قال تعالى " ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير "(١)

وقد تتبع ذلك المساواة امام القضاء مساواة مطلقة ، فما ينال الفقير ينال الغنى وما يطبق على عامة الناس يطبق بعينه على النبيل والشريف ، ومن اوضح الايات دلالة على هذا المعنى وأشدها الحاحا على اقامة موازين العدل بين الناس قوله جل وعلا " ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا "(٢)

فهذا الخطاب الموجة الى الامراء والى أولى الامر فيه توجيه لسياسة الحاكمين ، وأمر بلزوم الحق فى الحكومة . وفى عدم المفاضلة وترك الانحياز لاحد المتخاصمين ، قال الطبرى فى بيان ذلك(٣) ان الله يأمركم يامعشر ولاة امور المسلمين ان تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيتكم من فيئهم وحقوقهم واموالهم وصدقاتهم اليهم ، على ما امركم الله باداء كل شئ من ذلك الى من هو له . بعد أن تصير فى ايديكم ولا تظالموها أهلها ولا تتأثروا بشئ منها ولا تضعوا شيئا منها فى غير موضعه ، ولا تأخذوها الا من اذن الله لكم بأخذها منه قبل ان تصير فى ايديكم ويأمركم اذا حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا

---

(١) سورة الحجرات . الاية ١٣

(٢) سورة النساء . الاية ٥٨

(٣) جامع البيان فى تفسير القران للطبرى

جـ ٥ ص ٩٣

بينهم بالعدل والانصاف ، وذلك حكم الله الذى أنزله فى كتابه وبينه على لسان رسوله لا تعدوا ذلك فتجوروا عليهم .

فلا يجوز للدولة أن تقر امتياز لطبقة من الناس ، ولا للقاضى أن يفاضل بين المتحاكمين بشئ ولو خفى من قول او فعل ولا تمنع القربى ولا العداوة من اقامة العدل ولزومه ولو على النفس ، وفى ذلك جاءت آيات كثيرة ايضا ، منها قوله تعالى : " واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون "(١) وقوله تعالى " ولا يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون "(٢)

وقد طبق هذا المبدأ من المساواة بين عامة الأفراد من المسلمين فى تولى الوظائف العامة وتوزيع العطايا ، وفى التكاليف المادية .

ولا يقدح فى هذا المبدأ وجود الرقيق ولا معاملة اهل الذمه .

فان الاسلام الذى لم يرتض الرق الا فى صورة شرعية لها صوابها . حرص بشتى الصور وبما فرضه من تكاليف ، ووضعه فى أحكام على تحرير الارقاء والتقليل من أخطار نظام الرق كما انه منح اهل الذمه كثير من الحقوق المتعلقه بحياتهم الشخصية ، ولم يمنعهم سوى بعض الحقوق المتعلقه بالمصالح الجماعية ، وهذا متعارف فى كثير من الانظمة ولا يخل بمبدأ المساواة(٣)

ومما سبق يبدو أن القول المأثور لا يقوم الملك الا بالسلطان ولا يقوم السلطان الا بالعدل فأننا نعلم مدى أهمية الالتزام بالعدل للحاكم وللمحكومين للراعى والراعية على حد سواء واذا ساد الظلم حل الصراع محل الوئام . والتنافر بدل الحب ولهذا كان العدل والتزام الحق واتباعه أساسا لراحة وسعادة ورقى المجتمع المسلم .

مبدأ الحرية :

ولما كانت الحرية تشوق اليها نفوس البشر فان الاسلام فى أول وهلة كان يراعى ذلك الشعور ، ووضع حدودا لحفظها من ان تدنس ، وكفلت تعاليم الاسلام فى تقرير الحرية وتحقيقها وصونها .

---

(١) سورة الانعام الاية : ١٥٢

(٢) سورة المائدة الاية : ٨

(٣) وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ، البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه ١٣٩٦ ص ٣٠ - ٣١

ومن هذا النوع من الحرية " الحرية الشخصية "

المراد من الحرية الشخصية[١] أن يكون الشخص قادرا على التصرف فى شئون نفسه وفى كل ما يتعلق بذاته ، آمنا من الاعتداء عليه فى نفس أو عرض أو مال أو ماوى أو أى حق من حقوقه ، على ان لا يكون فى تصرفة عدوان على غيره " . ومن هذا التعريف يتبين أن الحرية الشخصية تتحقق بتحقق أمور ، وانها معنى مكون من حريات عدة وهى حرية الذات ، وحرية المأوى ، وحرية الملك ، وحرية الاعتقاد ، وحرية الرأى ، وحرية التعليم ففى تأمين الفرد على هذه الحريات كفالة لحريته الشخصية ، وهذا ما قرره الاسلام فى شأن هذه الحريات .

وهنا اختصر الكلام فى الحرية الفردية وحرية المأوى وحرية العقيدة دون غيرها من الحريات الحرية الفردية أو حرية الذات .

فى أحكام الاسلام ما يقرره هذه الحرية ويؤمن الفرد على ذاته من اى اعتداء . وذلك أن الاسلام حد حدودا بأوامره ونواهيه . وشرع لمجاوزة هذه الحدود عقوبات ، بعضها مقدرة وهى الحدود ، وبعضها موكول تقديره الى ولاة الامر وهى التعازير ، فلا جريمة الا فى تعدى حدود الله ولا عقوبة الا على وفق ما شرع الله ، واتفقت كلمة علماء الاسلام على أن العقوبات مما لا تثبت بالرأى والقياس وانها لا تثبت الا بالنص ، وجاء فى القران قوله عز شأنه " فلا عدوان الا على الظالمين[٢] " ، وقوله تعالى " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم "[٣] .

ففى النهى عن العدوان الا على ظالم وفى الامر بأن يكون الاعتداء على الظالم مماثلا لاعتدائه ، وفى قصر الجريمه على مخالفة حدود الله . ومنع تشريع العقوبات بالرأى والقياس كفالة للحرية الفردية وتأمين من الاعتداء على الذات ، وجميع ما فى كتاب الله وسنة رسوله ، من النهى عن الظلم والايذاء للمسلم والذمى يؤيد حرية الذات وأمان الانسان من أذى غيره "[٤]

ومن هذا تبين موقف الاسلام نحو حرية الذات أو الفرد بحفظها وصيانتها . حتى تحقق هذا المبدأ فى حياة الفرد .

وهكذا فأن الالتزام يحقق انواعا من الحريات والوانا من الخير .

---

(١) السياسة الشرعية أو نظام الدوله الاسلامية عبد الوهاب خلاف ص ٣١

(٢) سورة البقره الاية ١٩٣

(٣) سورة البقره الاية ١٩٤

(٤) السياسة الشرعية عبد الوهاب خلاف ص ٣١ - ٣٢

ب - حرية المأوى (١) :

فى احكام الاسلام ما يكفل هذه الحرية فان النفى والابعاد عقوبة لم يذكرها القران الكريم الا جزاء للذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا قال تعالى " انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم(٢).

وفى القران والسنة تقرير حرمة المسكن قال تعالى " ياايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليهم(٣) " وقال صلى الله عليه وسلم " اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فيرجع(٤)

جـ - حرية العقيدة :

اهتم الاسلام بهذه الحرية اهتماما عظيما ووردت الايات القرآنية والاثار الداله على ذلك ، قال سبحانه وتعالى " لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى(٥) وقال تعالى " فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعنى وقل للذين أتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد(٦) .

وفى آية اخرى يوجه الى المنهج المختار فى الدعوه الى الله وقال تعالى :

" ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون(٧).

فالاسلام لم يأذن بالحرب ولا القتال الا من اجل حماية الدعوه ورد العدوان " وباطل ما اشاعه المغرضون من ان الاسلام دين اكراه والزام فهذا السير ارنولد يقول فى كتابه الدعوه الى الاسلام(٨) " اننا لو نظرنا الى التسامح الذى امتد الى رعايا المسلمين من المسيحين فى صدر الحكم الاسلامى أظهر ان الفكره التى شاعت

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢

(٢) سورة المائده الاية : ٣٣

(٣) سورة النور الاية : ٢٧ - ٢٨

(٤) البخارى جـ ٧ كتاب الاستئذان . باب التسليم ص ١٣٠

(٥) سورة البقره الاية : ٢٥٦

(٦) سورة ال عمران الاية : ٢٠

(٧) سورة العنكبوت الاية : ٤٦

بان السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق "

ودليل آخر على حيرية العقيده تسامح الاسلام واذنه لاهل الذمه والكتابيين باقامة شعائر دينهم فى ارضه "(١) فان الاسلام جعل لغير المسلمين الحرية التامة فى ان يقيموا شعائر دينهم فى كنائسهم ومعابدهم وجعل لهم أن يتبعوا احكام دينهم فى معاملاتهم واحوالهم الشخصية .

والاصل فى هذا قوله صلى الله علية وسلم فى شأن الذميين " لهم مالنا وعليهم ما علينا " .

وجميع العهود التى كانت تعطى للمعاهدين كان تعرف بالتأمين على الانفس والاموال التأمين على العقائد واقامة الشعائر ، وفى عهد عمر بن الخطاب لاهل ايليا ما نصه " اعطاهم الامان لانفسهم واموالهم وكنائسهم وسائر ملتهم ، لا تسكن كنائسهم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار احد منهم يجوز بالذكر هنا أن المراد بحرية العقيدة أنه لا يجوز اجبار احد على دخول الاسلام ولكن بالنسبه للذين أسلموا الى المسلمين بالفعل فانه لا يجوز للمسلم ان يبدل دينه ويرتد عن الاسلام فهو ملتزم به امام الله والشريعة ، وحكم الشرع الحنيف ان جزاء المرتد عن الاسلام هو القتل اذا أصر على الردة بعد ان يستتاب لان الردة تعتبر خيانة كبرى للدين والمجتمع ، فالكلام هنا خاص بغير المسلمين .(٢)

فخلاصة الكلام بأن تعاليم الاسلام كانت تهتم لجميع الحاجات البشرية ولم تهمل أى قضية من قضايا الناس الا وقد عالجتها معالجة تهدئ من غليل النفوس ، وصدق الله حين يقول " وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين(٣) وازاء هذا كله وجب على المؤمنين أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله وان يلتزموا بهما فى كل آن وحال فيكون لهم الفلاح والنجاة فى الدنيا والاخره .

---

(١) السياسه الشرعية عبد الوهاب خلاف ص ٣٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٤

(٣) سورة الاسراء الاية : ١٢

الفصـــل الثانـــى
فى اركان الالتزام بالكتـاب والســـنة

يتضمن هذا الفصل ثـلاثة مباحث :

المبحث الاول : فى الالتزام بالعقيـدة .
المبحث الثانى : فى الالتزام بالعمل الصالح .
المبحث الثالث : فى الالتزام بالاخلاق الفاضلة .

المبحث الاول

فى الالتزام بالعقيده

فى أعصر التاريخ المختلفه وحتى عصرنا الراهن كانت الديانات الوضعية وحتى السماوية التى حرفت مهتزة الاركان مختلة المنيان .

فقد كانت الديانات تعنى بجانب واحد بينما لا تضع حسابا لجانب آخر . وعلى سبيل المثال فأن الهندوكية تقسم الطبقات الى اربعة ، ادناها طبقة المنبوذيين اذا قتلوا بيد الطائفة البراهمية فانه لا وزن لهم ولا قيمة ..

واذا نظرنا الى البوذية وغيرها من الديانات القديمة فاننا نلمح اهتماما بالمواعظ والنصائح اكثر من العقائد والاداب والسلوك ، وحتى الديانه اليهودية التى حرفها اليهود تهتم بالجوانب المادية وبشعب الله المختار ، فهذه الملامح وغيرها فى الديانه اليهودية فاليهودى لا يسرق اخاه ولا يرابى مع اخيه اليهودى أما غيرهم فاموالهم متاحة وأعراضهم مباحة كما انهم يحرصون تمام الحرص على حطام الدنيا يجمعونه بكل وسيلة ، لهذا يختل جانبهم العقائدى الذين يجسمون فيه الله ويجعلونه كالبشر تنزه عن ذلك جل وعلا سبحانه .

أما النصرانية المحرفة بيد اليهود وغيرهم فينصب اهتمامها على الجوانب الروحية والمواعظ دون اهتمام بالتشريعات ، ويصل الامر بها الى حد جعل الله بشرا والعياذ بالله . كما انهم يضربون فى المهانه بسهم بعيد حيث لا يدفعون عن انفسهم ضرا ولا يرفعون امام من يؤذيهم راسا " اذا ضربك احد على خدك الايمن فأدر له خدك الأيسر " لهذا فهم يفرقون فى التعامل بين الاقوياء والضعفاء حتى ليعتبرون قيصر الدنيا اخوف من الله ، اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

هذا بخلاف الخرافات المبثوثة فى تلك الديانات النخرة المهلهلة والتى حرفها اعداء الله ويحاولون اكراه العباد على اعتناقها اما بالنسبة لديننا الحنيف فاننا نجد الثبات والقوة والنظام والتوازن والمرونة والسعة والضرورة وغيرها فى دين الله واذا اراد العبد النظر الى شئ يختار فانه سوف يجده محكما متوازنا صحيحا متفقا مع الفطرة فيه جماع الخير بأذن الله يجده فى جنبات هذا الدين وآفاقه المفدقة والمثمرة .

تعريف العقيده :

(١)

العقيدة فى اصل اللغه ، من اعتقد . واعتقد كذا بقلبه ، كان له عقيده واعتقد التاج

---

(١) معجم متن اللغه احمد رضا جـ ٤ ص ١٥٨

فوق رأسه ، عصبه به ، واعتقد : اشترى الدر والخرز وغيره واتخذ منه عقدا ، واعتقد : اشترى عقدة أى مالا يتأثله واعتقد فلان ، أغلق بابه على نفسه فلا يسأل الناس شيئا حتى يموت . واعتقد بمعنى عقد . والعقد ضد الحل وهو اصل المعنى ومنه عقد البيع والنكاح وغيرهما ، والعقد . التصميم والاعتقاد الجازم والضمان والعهد ج عقود . وتأتى العقيدة بمعنى الاقتناء كما أسلفنا .

ومن هنا يأتى المعنى الاصطلاحى للعقيدة بالربط مع المعنى اللغوى ، ففى اللغه وردت المعانى غالبها بمعنى الربط والعقد والاقتناء .

وعندما يعتقد الانسان مبدأ او عقيدة او فكرة فكانما يربطه بقلبه ولا يفارقة كانما التحم فيه العقيدة فى الاصطلاح : تطلق كلمة العقيدة على التصديق الناشئ عن ادراك شعوره بقهر صاحبه على الاذعان لقضية ما - ولا فرق فى ذلك بينما يرجع الى وهم وظن أو ما يرجع الى دليل عقلى " اهـ (١) وأحيانا قد تنشأ العقيدة فى النفس بدون دليل ثم تستعين الانسان بعقلة على تأكيد صحتها بالاستدلال المنطقى والدليل العقلى .

وفى هذه الحالة تنتقل العقيدة من حالتها الطبيعية التى لا تعتمد على دليل الى عقيدة عقلية مستندة الى دليل . ولعل العقيدة فى المفهوم الاسلامى لها قيود اكثر فى المعنى الذى سقناه آنفا . (٢)

فلقد عرفتها علماء الكلام " بأنها الادراك الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل " اهـ

وذكر بعض العلماء تعريف العقيدة " بأنها مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمه بالعقل والسمع والفطره يعقد عليها الانسان قلبه ويثنى عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها يصح او يكون ابدا ، وذلك كاعتقاد الانسان بوجود خالقة وعلمه به وقدرته عليه ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ومجازاته اياه على كسبه اختيارة وعليه غير الاضطرارى كاعتقاده بوجوب طاعتة فيما بلغة من اوامره ونواهيه من طريق كتبة ورسله طاعة تزكو بها نفسه وتتهذب بها مشاعرة وتكمل بها اخلاقه وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياه . كاعتقاد بغنى ربه تعالى عنه وافتقاره هو عليه ، وفى كل شأنه حتى فى انفاسه التى يردها فبالله تعالى حياته وعليه وحده توكله واعتماده اذا هو محط رجائه اذا طمع ، ومأمن خوفه اذا خاف . وبحبه يحب وببغضه يبغض هو ملاه الذى لا مولى غيره ومعبود الذى لا معبود له سواه لا ربوبية لغيره ولا يعتقد الالوهية فى سواه (٣) اسلام المرء يتمثل فى اعتقاده بالله ربا وبالاسلام دينا ومحمد نبيا ورسولا . وبهذا المفهوم يكون الانسان مسلما وصالحا ما دام مقترنا ايمانه بالعمل

---

(١) مبادئ الثقافه الاسلامية ، محمد فاروق البنهان ص ١٠٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣

(٣) عقيدة المؤمن ، ابو بكر الجزائرى ص ٢٣

الصالح . لان الايمان والعمل أو العقيده والشريعة كلاهما مرتبط بالاخر ارتباط الثمار بالاشجار أو ارتباط المسببات بالاسباب والنتائج بالمقدمات (١) .

ان العقيدة الاسلامية هى أساس يقوم عليها الاسلام الذى هو مقتضى العبودية لله وحده المتمثلة فى شهادة : ان لا اله الا الله ، والتى لا تكمل الا بالايمان به صلى الله عليه وسلم فى شهادة أن محمد رسول الله .

ولا يقوم الاسلام كله الا على تلك العقيدة الاساسية ، وهذه العقيدة تتضمن امورا كثيرة ولكنها تنحصر فى اخلاص الايمان باركان الايمان التى ذكرها رسول الله علية وسلم جوابا عن سؤال جبريل عليه السلام له صلى الله علية وسلم " اخبرنى عن الايمان ؟ قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر و تؤمن بالقدر خيره وشره (٢) .

مفهوم الايمان أو العقيدة ينتظم ستة امور (٣)

اولا : المعرفة بالله والمعرفة باسمائه الحسنى وصفاته العليا والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمته من الكون والطبيعة .

ثانيا : المعرفة بعوالم ما وراء الطبيعة او العالم غير المنظور وما فيه من قوى الخير التى تتمثل فى الملائكة ، وقوى الشر التى تتمثل فى ابليس وجنوده من الشياطين والمعرفة بما فى هذا العالم ايضا من جن وارواح .

ثالثا : المعرفة بكتب الله التى انزلها لتحديد معالم الحق والباطل والخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبيح .

رابعا : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم الله ليكونوا اعلام الهدى وقادة الخلق الى الحق .

خامسا : المعرفة باليوم الاخر وما فيه من بعث وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار .

سادسا : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون من الخلق والتدبير .

هذا مفهوم للايمان هو العقيدة التى انزل الله بها كتبه وارسل بها رسله وجعلها وصيته فى الاولين والاخرين !

فهى العقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان ولا تتغير بتغير الافراد والاقوام قال تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (٤)

---

(١) العقائد الاسلامية سيد سابق ص ٧

(٢) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام ص ٣٧

(٣) العقائد الاسلامية سيد سابق ص ٨

(٤) سورة الشورى الاية ١٣

وما شرعه الله لنا من الدين ووصانا به كما وصى رسله الباقين هو اصول العقائد وقواعد الايمان لا فروع الدين ولا شرائعه العملية ، فان لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها واحوالها ومستواها الفكري والروحي ، قال تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا "(١) .

الان اعود الى توضيح معنى الايمان

اول ركن من اركان الايمان هو ايمان بالله .

الايمان بالله معناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شئ ومالكه وخالقه ورازقه . والاقرار بأن يتصف بجميع صفات الكمال وينزه عن ما لا يليق به تعالى وهو يفرد بالطاعة والتوكل والخشوع وما الى ذلك من انواع العباده كلها ، ولا يأتى معنى الايمان الا بعد ان يؤمن ايمانا قاطعا بربوبيته تعالى وصفاته واسمائه والوهيته .

ربوبية الله تعالى .

ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فى كتابه(٢) بأن توحيد الربوبية هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شئ ومليكه وخالقه ورازقه وانه المحى المميت النافع الضار المنفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار الذى له الامر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس فى ذلك شريك . ويدخل فى ذلك الايمان بالقدر، وهذا التوحيد لا يكفى العبد فى حصول الاسلام ، بل لا بد من يأتى مع ذلك يلازمه من توحيد الالوهيه لان الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد وحده قال تعالى " قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون "(٣) .

فهم كانوا يعلمون ان جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين بل قال تعالى " وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون "(٤) قال مجاهد فى الاية ايمانهم بالله قولهم ان الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا فهو ايمان مع الشرك لعبادتهم غيره . فتبين ان الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته وملكه وقهره وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له انواعا من العبادات ، كالحج ، والصدقه ، والذبح ، والنذور، والدعاء وقت الاضطرار

---

(١) سورة المائده الاية ٤٨

(٢) تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد لشيخ سليمان بن عبد الله ص ٣٣

(٣) سورة يونس الاية ٣١

(٤) سورة يوسف الاية ١٠٦

ونحو ذلك .

توحيد الاسماء والصفات :

هو الاقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وانه سميع بصير ، رؤوف رحيم ، على العرش استوى وعلى الملك احتوى وانه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، الى غير ذلك من الاسماء الحسنى ، — والصفات العلى .

وهذا ايضا لا يكفي في حصول الاسلام ، بل لا بد مع ذلك من الاتيان بلازمه من توحيد الربوبية والالوهية ، والكفار يقرون بجنس هذا النوع وان كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك ، اما جهلا واما عنادا كما قالوا ،لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وانزل الله فيهم " وهم يكفرون بالرحمن " .

توحيد الالوهية (١)

ان توحيد الالوهية ـ العبادة ـ جزء هام من عقيدة المؤمن اذ هو ثمرة التوحيد الربوبية والاسماء والصفات ، وجناة الطيب وبدونه يفقد توحيد الربوبية والاسماء والصفات معناه تنعدم فائدته .

ان توحيد الربوبية يدور على المعرفة بالله وربوبية ـ ونفي الشرك عنه في ذلك، كما ان توحيد الاسماء والصفات يدور على اثبات اسماء الله تعالى وصفاته . ونفي الشريك في الاسماء وعدم التمثيل والتأويل والتعطيل في الصفات .

واما توحيد الالوهية فهو افراد الله تعالى بالعبادة المستلزم لعبادة الله تعالى بكل ما شرع ان يعبد به من اعمال القلوب والجوارح وان لا يشرك معه غيره في شيء منها ، مع عدم الاعتراف بعبادة غيره تعالى وهو ايضا توحيد الالوهية تعلق القلب بالرب تعالى خوفا ورجاء ورهبة وطمعا كما هو اسلام الوجه لله ووقف الحياة كلها عليه ، فلا شيء للعبد هو لغير الله تعالى بدليل قوله تعالى " قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين " (٢) .

بهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول ويجاهر به وبمثله امر ابراهيم عليه السلام اذ قال " ياقوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض

---

(١) عقيدة المؤمن . لابي بكر الجزائري ص ٩٩

(٢) سورة الانعام الاية ١٦٢

حنيفا وما انا من المشركين" ومن اركان الايمان ان نؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزله على المرسلين ونشهد انهم كانوا على الحق المبين .

وهذه الامور من اركان الايمان قال تعالى " آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله "(١) وقال تعالى " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكه والكتاب والنبيين "(٢) !

فجعل الله سبحانه وتعالى الايمان هو الايمان بهذه الجملة وسمى من آمن بهذه الجمله مؤمنين ، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجمله بقوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا"(٣) وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته ، حديث جبريل وسؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٤) هذه الاصول التي اتفق عليها الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه ولم يؤمن بها حقيقة الايمان الا اتباع الرسل .(٥)

كما وجب الايمان بما ذكر يجب الايمان باليوم الاخر فهي عباره عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم في الكون ويكون انتهاؤه هذه الحياة الدنيا بكاملها ، وابتداء حياة أخرى وهي دار الاخره بكل ما فيها من حقائق مدهشة من بعث الخلائق وحشرهم وحسابهم ومجازيهم .

هذا الايمان ليس واجبا فحسب بل هو احد الاركان الستة التي عليها تبنى عقيدة المؤمن فلا تتم عقيدته الا به ولا تصح الا عليه قال تعالى " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكه والنبيين "(٦) وقوله تعالى " ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير . وان الساعه آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور "(٧) .

ومما يؤكد أهمية هذا المعتقد ، ويجعله كالصمام لحياة الاستقامه والطهر والخير وهو ذكره مقرونا بالايمان بالله تعالى ، وذلك قوله تعالى " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون "(٨) .

وبالجملة فان معتقد الايمان بالله واليوم الاخر هو رأس كل عقيدة واساس كل ايمان

---

(١) سورة البقره الاية : ٢٨٥
(٢) سورة البقره الاية : ١٧٧
(٣) سورة النساء الاية : ١٣٦
(٤) صحيح مسلم ج ١ كتاب الايمان ، باب بيان الايمان - ص ٣٧
(٥) شرح العقيدة الطحاوية والتوضيح زهير الشاويش ص ٣٣٢ - ٣٣٣
(٦) سورة البقره الاية : ١٧٧
(٧) سورة الحج الاية : ٦ - ٧

وعليه مدار استقامة الانسان وصلاح خلقه وطهارة روحه ، وبدونه فالانسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه ولا لغيره وهو شر كله لا يؤمن جانبه ولا يطمأن اليه ولا تسكن النفوس عنده وذلك لما اذا انعدمت عنده من اصول الخير وينابيع الفضيلة والكمال البشرى (١) .

ومن اركان الايمان الستة الايمان بالقضاء والقدر .

الايمان بالقضاء والقدر المراد بهما كما بين شيخ الاسلام ابن تيميه يقول " الايمان بالقدر على درجتين : كل درجة تتضمن شيئين ، الدرجة الاولى : الايمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذى هو موصوف به ازلا " وعلم جميع احوالهم من الطاعات والمعاصى والارزاق والاجال ، ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب قال ما اكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة . فما اصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الاقلام وطويت الصحف ، كما قال تعالى " الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ، ان ذلك على الله يسير (٢) " .

واما الدرجه الثانية : فهى الايمان بمشئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الايمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه ما فى السموات وما فى الارض من حركة ولا سكون الا بمشئة الله سبحانة ، لا يكون فى ملكه ما لا يريد ، وانه سبحانه على كل شئ قدير من الموجودات، والمعدومات ، فما من مخلوق فى الارض ولا فى السماء الا الله سبحانه وتعالى خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه ، ومع ذلك فقد امر العباد بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم من معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، والعباد فاعلون حقيقة والله خالق افعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم ، وللعباد قدرة على اعمالهم ولهم اراده فالله خالقهم وخالق قدراتهم واراداتهم (٣) هذه الاركان كلها يجب على المؤمن ان يؤمن بها ايمانا جازما لان هذه الخصال هى اصول الدين وبها اجاب النبى صلى الله عليه وسلم على صورة اعرابى وسأله عن الاسلام فقال أن تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاه وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وسأله عن الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، وسأله عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه كأنه يراك (٤) " .

---

(١) عقيدة المؤمن لابى بكر الجزائرى ص ٣٣٤

(٢) سورة الحج الاية : ٧١

(٣) الروضه الندية زيد بن عبد العزيز بن فياض ص ٢٥٢ - ٢٥٣

هذه الاركان هي لب العقيدة يجب الايمان بها لا يجوز ابدا ان يتساهل في هذه الامور لانها تمس اساس الاعتقاد بالله تعالى .

والاعتقاد بهذه العقيدة يجعل الانسان بعيدا عن شوائب الشرك فتكون عقيدته خالصة لا يشوبه الشك سواء في ربوبيته تعالى أو صفاته أو اسمائه أو الوهيته فتكون عبوديته اذن لله وحدة لا شريك له .

فان الانسان اذا اعتقد بعقيدة التوحيد فان جميع تصرفاته تكون خاضعة لايمانه بالله تعالى فهو صادق في كلامه أمين في امانة التي أوتمن عليه ، وخائف لله سبحانه في كل لحظة في السر والعلانية ، لا يرتكب المعصية ولا يجرؤ على تجاوز حدود الله لان الله يراقبه اينما كان ، واذا زلت القدم الى المنكر فسرعان ما استتاب الى الله فيغفر الله له .

المؤمن بالله يشعر في قلبه بأمان واطمئنان ولا يخطر بباله سوء يمس ضميره محررا من القلق والاضطراب لان عقيدته حالت دون ذلك .

واضافة الى ذلك فان المؤمن يتقي الله في حالاته فتكون التقوى الى الله هي الميزان الوحيد لتفصل بين الحق والباطل قال تعالى " ياايها الذين أمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم "(١)

وقال محمد بن اسحاق" فان من اتقى الله بفعل اوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من امور الدنيا وسعادته يوم القيامه وتكفير ذنوبه وهو محوها وغفرها وسترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله الجزيل "(٢)

فالعقيدة اسلامية عقيدة سامية ذات اثر بليغ في قلوب المسلمين الملتزمين بها ، فهي قوه تعطي الناس حيويتهم العالية في ممارسة حياتهم فيكونوا سالمين في الدنيا مع الفوز في الاخره .

لذا فهذه العقيدة خليقة ان يعتنقها الناس ويتمسكوا بها شديد التمسك كما امرهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الانفال الاية : ٢٩

(٢) تفسير القران العظيم لابن كثير ج : ٢ ص ٣٠٢

المبحث الثانى

فى الالتزام بالعمل الصالح

ومن متطلبات العقيدة الاسلامية أن يكون المرء خاضعا لله تعالى ومنقادا لامره وان تكون العقيدة مرتبطة ارتباطا قويا بالعمل الصالح متمثلة فى أقواله وأفعاله .

ويعنى بالعمل الصالح هنا العمل المرضى لله تعالى .

وهو الجامع لشيئين : الاول : أن يكون وفق الشرع الاسلامى .

والثانى : أن يكون المقصود به مرضاة الله وطاعته ، فاذا فقد العمل هذين الشيئين او احدهما لم يكن مرضيا عند الله ، وبالتالى لا أجر فيه ولا ثواب (١) ، قال تعالى " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا " (٢) ،

والمقصود بالعمل الصالح اى الموافق للشرع الاسلامى والخالص لوجه الله تعالى "

ولعظمة العمل الصالح فى الاسلام قرنه الله سبحانه وتعالى بالايمان تاره وبالجزاء الحسن تارة أخرى ، فالعاقبة فى الاخرة نتيجة للاعمال فى هذه الحياة الدنيا ان كانت خيرا فخير أو شرا فشر يقول تعالى " وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم " (٣) . وقال تعالى " الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب " (٤) .

وقال سبحانه " من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبه ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " (٥) فالاعمال الصالحة كثيرة فهى جميع ما امر الله به على وجه الوجوب والندب والاستحباب فى العبادات والمعاملات ، فاذا أقامها المسلم ملاحظا الطاعه لربه والانقياد لشرعه مبتغيا بها وجه الله فهو من اصحاب الاعمال الصالحة ، وفى مقدمة هذه الاعمال الصالحة ، العبادات وفى مقدمة العبادات التى جاءت فى حديث جبريل الصلاه والزكاة والصوم والحج . فهى من اركان الاسلام التى لا يجوز التهاون بها مطلقا أو التقليل من أهميتها ، ولذلك ذكرت فى الحديث (٦) .

اذن " العمل الصالح هو الاحسان وهو فضل الحسنات ، والحسنات هى ما احبه الله ورسوله وهو ما أمر به ايجاب أو استحباب .

فما كان من البدع فى الدين التى ليست فى الكتاب ولا فى صحيح السنة فأنها - وان قالها

---

(١) سورة الكهف الاية : ١١٠

(٢) اصول الدعوه ، للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٧

(٣) سورة المائدة الاية ٩

(٤) سورة الرعد الاية ٢٢

(٥) سورة النحل الاية ٩٧

(٦) اصول الدعوه د . عبد الكريم زيدان ص ٢٩

من قالها ، وعمل بها من عمل = ليست مشروعة فان الله لا يحبها ولا رسوله ولا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح . كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح (١) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد " (٢) وما دام العمل الصالح هو ما كان صحيحا خالصا لله والصحيح ما كان وفق الشرع ، فان الابتداع فى الدين بالزيادة والنقصان لا يجوز ولا ثواب فيه لصاحبه حتى ولو كان بنية العبادة لله تعالى .

قال صلى الله عليه وسلم " من أحدث فى امرنا ما ليس فيه فهو رد " (٣) والبدعة شر فى المعصية ، لان فى الابتداع تغييرا للدين ولاحكام الشرع واتهاما له بنقصانه أو بحاجته الى التكميل والتشذيب والتعديل ، وهذا أمر كبير جدا ولا يجوز اعتقاده أو العمل بموجبه ولهذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من البدع فقال " اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة فى النار " (٤) فالخير كل الخير فيما جاء به الشرع والوقوف عنده قال تعالى " وما كان ربك نسيا " (٥) .

اذن لابد أن يكون العمل خالصا لله تعالى موافقا لما شرع ، مقتديا بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا نقصان مع اجتناب كل الاجتناب للبدع ومحدثات الامور حتى يكون العمل مرضيا ومقبولا عند الله تعالى .

كما ذكر أن فى مقدمة هذه الاعمال الصالحة العبادات ، وفى مقدمة العبادات التى جاءت فى حديث جبريل وهى الصلاة والزكاة والصوم والحج . عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا احد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه ، وقال يامحمد اخبرنى عن الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الاسلام أن تشهد أن لا اله ولا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاه وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، قال صدقت ، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرنى عن الايمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت . فأخبرنى عن الاحسان . قال : ان تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن

---

(١) المعبودية لابن يتمية ص ٧٥

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ كتاب الاقضيه باب نقض الاحكام الباطله ص ١٢٤٤

(٣) صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها جـ ٢ كتاب العلم باب اصطلحوا ص ١٦٧

(٤) رواه ابو داود فى سننه جـ ٤ كتاب السنه باب فى لزوم السنه ص ٢٠١

(٥) سورة مريم الاية ٦٤

تراه فأنه يراك ، قال فأخبرنى عن الساعة قال : ما المسؤل عنها بأعلم من السائل ، قال فأخبرنى عن امارتها ، قال أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان ، قال ثم انطلق ، فلبثت مليا ثم قال لى " ياعمر اتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم "(١)

كأن الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهيب المسلمين أن يلتزموا بتلك القواعد الخمسة التى شملتها الحديث .

ومن ضمن تلك القواعد الخمسة الصلاة وهى ركن من اركان الاسلام ، ثبت وجوبها بالقران والسنه ، قال تعالى " أقم الصلاة لذكرى "(٢) وقال " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا "(٣) اى فريضة مؤقته بأوقات معينه . وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ فأعلم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة "(٤) وقال عليه السلام " الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر "(٥) قد فرضها الله سبحانه على عباده لتكون صلة بينه وبين عباده خمس مرات فى يوم وليلة وهى الركن الثانى بعد الشهادة لاهميتها وعظمتها فى الاسلام .

فالصلاة أول ما بدئت به التكبير الذى يتضمن ربوبية الله تعالى وصفاته واسمائه والوهيته وامر عبادة بعد الشهادة ان يقروا بقلوبهم ولسانهم بأن لا معبود لسواه وبانه يتصف بصفات الكمال ويتنزه عن جميع النقصان ،لذا يفتحون أول ما فتحوا به الصلاة بهذا اللفظ الجليل هذا(٦) لان الصلاة رمز كامل على معرفة الله وشكره والقيام بحقوق عبوديته ، فالله خلق كل شئ للانسان ، فكون العبد يقول " الحمد لله" انما هو رمز على المعرفه والاعتراف والشكر ،والله عز وجل خالق كل شئ فهو اكبر من كل شئ . فعندما يقول العبد المسلم " الله اكبر " فذلك رمز على المعرفة والاعتراف ، والله عز وجل الخالق لا يشبه المخلوقين . فقول المسلم " سبحان الله " رمز على هذه المعرفة واعتراف ،والركوع ، والسجود . وكقولنا " سبحان ربى الاعلى" أو " سبحان ربى العظيم " اعتراف لله وحدة بالربوبية واعتراف بأن محل الانسان فى الوجود العبودية لله .

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ص ٣٧ - ٣٨

(٢) سورة طه الاية : ١٤

(٣) سورة النساء الاية : ١٠٣

(٤) رواه مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب الدعاء الى الشهادتين ص ٥٠

(٥) رواه مسلم ، رياض الصالحين للنووى ص ٤٣١

(٦) الاسلام ، سيد حوى جـ ١ ص ٩٦

وعندما يؤدى المصلى صلاته يبدأ فى التخلى عن الاشياء التى لا تهتم وتتجرد حواسه وعقله متوجهه الى الله تعالى ابتغاء الرضاه ومن تلك اللحظة تتجلى عظمة الله سبحانه فى كل كلمات يلفظها أو حركات يحركها ، وانه امام رب العالمين ، يقف خاشعا مبتهلا لوجهه الكريم ، يشعر بكونه صغيرا حقيرا امام الجبار الذى يملك الارض والسموات وما بينهما قال تعالى " وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون " (١) .

اذن يجعل العبد المؤمن حياته كلها لله سبحانه ، وانه على معرفة بأن العبودية لله لذا يقول فى صلاته " ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين " (٢) .

وكذلك تجد فى نفس المصلى روح الاستعانة بالله بعد ان أقر اقرارا جازما بأن الله وحده وان العظمه والكمال لله ، وان العباد مفتقرون اليه وانهم لمحتاجون ، وانه لا بد ان يكونوا على مداومة الاستعانة بالله فى كل وقت لمواجهة حياتهم الدنيوية والاخروية ، قال تعالى " استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين " (٣) . اى يقول تعالى امرا عبادة فيما يؤملون من خير الدنيا والاخرة بالاستعانة وبالصبر والصلاة كما قال مقاتل فى تفسير هذه الاية ، استعينوا على طلب الاخره بالصبر على الفرائض والصلاة (٤) .

وان العباد محتاجون الى من يساعدهم ويهديهم الى سواء السبيل ، لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر المسلمين الاستعانة بالله كما روى عن ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال لى ياغلام انى اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فأسأل الله واذا استعنت فأستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك . رفعت الاقلام وجفت الصحف (٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه الى الله " اللهم انعشنى واجبرنى واهدنى لصالح الاعمال والاخلاق انه لا يهدى لصالحها ولا يصرف سيئها الا انت (٦) .

ومن البخارى عن البراء قال كان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر أو اغبر بطنه يقول :

---

(١) سورة الزمر الاية ٦٧

(٢) سورة الانعام الاية ١٦٢

(٢) سورة البقره الاية ٤٥

(٤) تفسير القران العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٨٧

(٥) رواه الترمذى جـ ٤ ابواب صفة القيامه باب ٢٢ ص ٧٦

(٦) الاذكار المنتخبه فى كلام سيد الابرار صلى الله عليه وسلم للنووى ص ٦٩

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا .
فأنزل سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا .
ان الألى قد بغوا علينا وان ارادوا فتنة ابينا .

قال يمد بها صوته .(١)

وفى الصلاة صله بالله اذ قال الله عز وجل قسمت الصلاه بينى وبين عبدى نصفين ولعبد ما سأل ، فأذا قال الحمدلله رب العالمين ، قال الله حمدنى عبدى ، واذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أثنى على عبدى ، واذا قال ، مالك يوم الدين ، قال الله مجدنى عبدى وقال مره فوض الى عبدى ، فاذا قال " اياك نعبد واياك نستعين " قال هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل ، فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل "(٢)

والصلاة الكاملة المبينه على الخشوع تنير القلب وتهذب النفوس وتعلم العبد أداب العبودية لله وواجبات الربوبية له بما تغرسه فى قلب صاحبها من جلال الله وعظمته ، وانها لتحلى المرء بمكارم الاخلاق كالصدق والامانة والقناعة والوفاء والحلم والتواضع والعدل والاحسان ، وتدفع صاحبها دائما الى مرضاة الله فتكثر مراقبته لله وخشية حتى تعلو بذلك همته تزكو بها نفسه ويترفع عن الكذب والخيانه والشر والغدر والغضب والكبر . وعن البغى والعدوان والدناءة والفسوق والعصيان .(٣)

والمسلم يشعر بأن صلاته تكون راحه له سعيدة بها نفسه صلة بينه وبين ربه ، ويشعر بأنها الدواء الشافى من امراض وفساد النفوس والنور المزيل لظلام الذنوب والاثام .(٤)

قال سبحانه " ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون "(٥)

عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه ، قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو به الخطايا .(٦)

وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحترقون ، تحترقون فاذا صليتم الفجر غسلتها ثم تحترقون تحترقون ، فاذا صليتم الظهر غسلتها ، ثم تحترقون

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ كتاب المغازى باب غزوة خندق ص ٤٧

(٢) تفسيرالقران العظيم لابن كثير جـ ١ ص ١٢

(٣) تعليم الصلاه : محمد محمود الصواف ص ١١

(٤) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٤٤٣

(٥) سورة المعارج الاية ١٩ - ٢٣

(٦) صحيح البخارى جـ ٥ كتاب مواقيت الصلاه باب الصلوات الخمس كفاره ص ١٣٤

تحترقون ، فاذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فاذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب حتى تستيقظون "(١) ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال " قم يابلال ارحنا بالصلاة "(٢) .

وزادت الصلاة أثرا فى نفوس الامه حين تقام الصلاة جماعة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم طبقها مع جموع الصحابه رضوان الله عليهم ثم قال محرضا للمؤمنين باقامة صلاة الجماعة " ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو ولا تقام فيهم الصلاة الا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية "(٣) ، صلاة الجماعة تجمع المصلين فى مكان واحد كل يوم خمس مرات فيؤدى ذلك الى تعارفهم وتعاطفهم وتخلق فيهم روح الاجتماع وتحفظهم من شر الوحدة والانطواء ويحتل المبكرون لصلاة الجماعة افضل الاماكن فى الصفوف الامامية ، ولوكان فيهم أدنى القوم من خدم وعبيد فتزول الانانية ويتعلم الناس التواضع ، ويعرف الناس قوله " ان اكرمكم عند الله اتقاكم "(٤) .

ويطيع المأمون ويتابعون حركاته وسكناته فتنطبع نفوسهم على النظام وطاعة اولى الامر وينقاد المأمونون مهما كانت منازلتهم من الجاه وعلو شأنهم لامامهم مهما كان امره وحاله بالنسبة لمراكزهم ومناصبهم فى هذه الدنيا .

وفضلا عن ذلك فان الاسلام الذى يحرص على اتحاد المسلمين وترابطهم وتناصرهم جعل من صلاة الجماعة فى الصلوات الخمس كل يوم أول خطوه فى سبيل التوحيد بينهم ثم جعل من صلاة الجمعة كل اسبوع فرصة أوسع مدى لهذا الاتحاد "(٥) .

ومن خلال هذه التجمعات التى تتمثل فى صلاة الجماعة والجمعه تتالف قلوب المسلمين ، وتترابط عرى العقيدة ويكونوا اخوة فى الله وحينئذ يتحقق ما قاله سبحانه " انما المؤمنون اخوة "(٦) .

ومن هذه الوشيجة تنطلق الامة الاسلامية نحو الوحدة والتضامن بمعنى الكلمة بعيدا عن النزاع والفرقة بينهم ، فتزداد ثقة وقوة ، اذ ترى عزة الاسلام واجتماع اهله فيعتز بدينه ويندفع للعمل والجهاد .

---

(١) المعجم الصغير للطبرانى جـ ١ ص ٤٧

(٢) سنن ابى داود جـ ٤ كتاب الادب باب صلاة العتمه ص ٢٩٧

(٣) رواه ابو داود فى سننه عن ابى الدرداء جـ ١ كتاب الصلاة باب التشديد فى ترك الجماعة ص ١٥٠

(٤) سورة الحجرات الاية : ١٣

(٥) الصلاة لمحمد اسماعيل ابراهيم ص ١٧٨

(٦) سورة الحجرات الاية : ١٠

الصـــوم :

يأتى بعد الصـلاه صوم رمضان ، وهو ركن من اركان الاسلام . ووجوبه بالقران والسنة المطهرة . قال تعالى " ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون "(١) . وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " بـــنى الاسلام على خمس : على ان يوحد الله واقـام الصلاه وايتاء الزكاة وصيام رمضان والحج ، فقال رجل الحج وصيام رمضان . قال لا صيام رمضان والحج ، وهكذا سمعته من رسول الله "(٢) مكانة الصوم فى الاسلام ليست بأقل من باقى الاركان لانه قاعدة من القواعد التى يبنى عليهـا الاسلام ، ولا يتم اسلام المرء الا بعد أن يؤدى هذه الفريضة ، ولم تكن هذه الفريضـــة مفروضة على هذه الامة دون الامم السابقة وانما قد فرضها الله على جميع الامم من قبل قـال تعالى مخبرا ذلك " ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكـــم لعلكم تتقـون "(٣)

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الاية " يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الامـه وامرا لهم بالصيام وهو الامساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه مـــن زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيله ، وذكر انه كما اوجبـه عليهم فقد اوجبه على من كان قبلهم ، فلهم فيه اسوة حسنه وليجتهد هؤلاء فى اداء هـــذا الفرض اكمل مما فعله اولئك كما قال تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولوشاء اللـــه لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات "(٤) . ففى الاية السالفة الذكـــر ان الله سبحانه وتعالى قد وضع هذه الاية فى الصفة البديعة ، بدأ بها سبحانه بالايمـان ثم الصيام ثم التقوى . وكل هذه الالفاظ تحمل فى طياتها معنى من معانى عظمة الاسـلام وعزة معتنقيه ، لان هذه الامور الثلاثه راسخه وثابته فى جذور العقيدة الاسلامية ، انها قد دلت دلاله واضحة على اسس العقيدة واركانها .

فالايمان الذى اشارت اليه الاية هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان وجميع ما صح عـــن

---

(١) سورة البقره الاية : ١٨٣

(٢) صحيح مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب بيان اركان الايمان ص ٤٥

(٣) سورة البقره الاية ١٨٣

(٤) سورة المائده الاية : ٤٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ، والايمان واحد . واهله فـــى اصله سواء والتفاضل بينهم بالخشـية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الاولى[١] .

الايمان من الامور القلبية لا يطلع عليه احد وهو مجمع القول الذى الرسول صلى الله عليـه وسلم اجابة على سؤال جبريل[٢] عليه السلام وانه مصدر لافعال الانسان الداخلية والخارجية دلالة على كماله ونقصانه لذلك قال العلماء[٣] بأن الايمان يزداد وينقص ، يزداد بالاعمال - الحسنات وينقص بفعل المنكرات ، والادله على زيادة الايمان ونقصانه فى الكتاب والسنـــة والاثار كثيره جدا ، منها قوله تعالى " واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا[٤] " وقولـــه تعالى " ويزيد الله الذين اهتدوا هدى[٥] " وقوله تعالى " ويزداد الذين امنوا ايمانا[٦] " .

وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم الناس بنقصان العقل والدين ، وقال صلى الله عليـه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين[٧] " .

وكان عمر رضى الله عنه يقول لاصحابه هلموا نزود ايمانا فيذكرون الله تعالى عز وجـــل وكان ابن مسعود يقول فى دعائه " اللهم زدنا ايمانا ويقينا وفقها[٨] " وتأتى الكلمه الثانيـة بعد الايمان هو الصيام هو الامساك . ايضا من الاعمال القلبية التى لايطلع عليها احـــد فان خضوع الحواس كلها نتيجة من نتائج الصوم .

واختتمت الاية بكلمة التقوى فانها كانت تأتى نتيجة الايمان وعملية الصيام ، ايضا من الامـور القلبية لا يعرفها الا البارئ عز وجل ، وقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى هـــذا المعنى بقوله " ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ، واشار باصبعه الى صدره[٩] " فقد ربطها الله برباط وثيق فى الاية الواحدة حتى تثمر ثمارهـــا الطيبه ألا وهى التقوى .

لذا الصوم لا يؤديه المسلم الا مع الاخلاص الى الله تعالى ابتغاء لمرضاة الله رغبة لحصـــول الثواب فى الاخره والشفاعه يوم يقوم الحساب وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قال " الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقـــل . .

---

(١) شرح الطحاوية لزهير الشاويش ص ٣٧٣

(٢) ذكرت الحديث ص : ٣٦

(٣) ذكره شرح الطحاوية وتوضيحه : لزهير الشاويش ص ٣٨٤

(٤) سورة الانفال الاية : ٢

(٥) سورة مريم الاية ٧٧

(٦) سورة المدثر الاية ٣١

(٧) صحيح البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول ص ٩

(٨) شرح العقيدة الطحاوية لزهير الشاويش ص ٣٨٦

(٩) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم ص ١٩٨٧

انى صائم مرتين ، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلى الصيام لى وانا اجزى به والحسنة بعشر امثالها "(١)

وفى رواية مسلم (" كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنه عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى للصائم فرحتان ، فرحة عند فطرته وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك "(٢)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " الصيام والقران يشفعان للعبد يوم القيامه ، يقول الصيام أى ربى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القران منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، قال فيشفعان "(٣) الله يتولى الثواب والجزاء على من يقوم بهذه الفريضة مخلصا لوجهه الكريم ابتغاء مرضاته .

اذن الاثار المترتبة على المسلم الصائم هى بث روح الاخلاص والصدق فى نفسه . " هذا اذا اعتاد الصائم ان يجد نفسه تحت مراقبة الله حتى تربى فيه ملكه الحياء من الله سبحانه وتعالى أن يراه حيث نهاه أو معرضا عما يرضاه يكون صادقا مع نفسه ومع الناس ومع الله ولا يكون بينه وبين الله ستارا ولا يقترف المنكر جهادا وانما يفعل الطاعات يراعا عظمة الله لا يشوبها رياء ولا سمعة ولا استجابة عاده .

واذا كانت العبادة كلها منبعثه من الايمان ، ولا تقبل الا بالاخلاص فان الصوم اوثق العبادات صلة بالضمير لانها عبادة لا يطلع على حقيقة الوفاء بها سوى علام الغيوب ولعل هذا هو سر خلوص جزاء الصوم كما ورد فى الحديث القدسى السالف ذكره "(٤) .

وفى الصيام تقوية للاراده وتربية للعزيمة وسمو بالروح . وبالصوم يملك امره ويسيطر على هوى نفسه ، يوجهها الى ما فيه صلاحها وخيرها . ويصدها اذا دعته الى محرم . او زينت له محظورا ، وبالصوم يضيق مجارى الشيطان فى نفسه ، ويسد منافذه التى تأتى منها ، ومحاربة النفس والشيطان هى رأس الامر كله ، وهى عملية صعبة المراس أشد خطر من محاولة العدو الظاهرى الذى يحمل السلاح لقتلنا ، لان عداوة النفس والشيطان واغرائهما للمرء قد يأتيان فى اسلوب نصيحه ، ولانها يوسوسان له بما يريدان من حيث لا يدرى ، وقد يصعب على الانسان تحديد الخطورة فيما يدعون اليه لانه يراه مستزجا بذاته وحسبنا من عدو

---

(١) صحيح البخارى جـ ٢ كتاب الصوم باب فضل الصوم ص ٢٢٦

(٢) صحيح مسلم جـ ٢ كتاب الصوم باب فضل الصيام ص ٨٠٧

(٣) مسند الامام احمد بن حنبل جـ ٢ ص ١٧٤

(٤) حديث رمضان لسيد حسن الشيرازى ص ١٤٣

لا ندرى مداخله ولا نأمن مكائده (١) .

" والصائم يعلم علم اليقين بأن الاسلام ليس دين استسلام وخمول بل هو دين جهاد وكفاح متواصل ، وأول عدة للجهاد هو الصبر والارادة القوية ، فان من لم يجاهد نفسه هيهات ان يجاهد عدوا ومن لم ينتصر على نفسه وشهواتها هيئات أن ينتصر على عدوه ومن لم يصبر على جوع يوم هيهات ان يصبر على فراق اهله ووطنه من اجل هدف كبير ، والصوم بما فيه من صبر ونظام للنفوس من أبرز وسائل الاسلام فى اعداد المؤمن الصابر المرابط المجاهد الذى يتحمل الشظف والجوع والحرمان ، ويرحب بالشدة والخشونه وقسوة العيش مادام ذلك فى سبيل الله (٢) .

الصائم يواجه بأحوال الشاقة ومع ذلك يتحملها ابتغاء وجه الله واذا ما واجهه الصعاب فى الحياة العادية فقد اجتاز فى أمن لان الصيام قد صقله وهذبه وعلمه الاحتمال مهما كانت المشقه . فاذا كان الفرد المسلم فى مثل هذا الحال من التمسك والالتزام فانها دلالة خير على أن المجتمع الاسلامى كله يتسم بهذه العادة الحسنة ، وانه اهل لمجابهة الاحداث وانه بعون الله قادر على الصمود حتى النصر .

فلا غرابة اذا كان المسلمون منسجمين فى علاقتهم بعضهم ببعض ومتعاونين على حسن الوجوه وهم فى الحقيقة كالبنيان يشد بعضهم بعضا ، وهذا لانهم كانوا يتلقون درسا من الصوم الذى فرض الله عليهم .

---

(١) الجائز والممنوع فى الصيام د . عبد العظيم المطعنى ص ٢١

(٢) العبادة فى الاسلام د / يوسف القرقاوى ص ٢٧٦

الزكاة :

الزكاة فريضة من فرائض الله وركن من اركان الاسلام كالصلاة والصوم اذا توافرت الشروط المطلوبة منها ، ومن طبيعة المسلم المؤمن أن يخرج زكاته ولا يختلط أمواله بغير ما أحل الله ورسوله ، لان زكاة الاموال من حقوق الله ، فهذه الحقوق لا بد للمسلم صاحب المال الذى بلغ النصاب أن يدفع جزءا معلوما من ماله للفقراء والمساكين ونحوهم قال تعالى " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم "(١) .

والمتتبع لتعاليم الاسلام فى القران والسنه يتبين أن الاسلام دين الحياه فيه النشاط المادى والنشاط الروحى على السواء ، وهذان النشاطات يلتقيان عند نقطة واحدة الا وهى العبودية لله لا ينحرفان ابدا عن النهج الالهى الذى وضعه القران والسنه النبوية . لهذا تتجلى حيوية هذا الدين لانه امتزاج بين الروح والمادة .

واذا كان هذا الدين قد رسم للروح طريق سعادتها كان من الضرورى ان يرسم للمادة طريق سعادتها ايضا وفقا لما أراده الله ودعى اليه رسوله صلى الله عليه وسلم (٢) .

ولما كان المال فى الاسلام له مكان هام فقد حث الله المؤمنين على العمل بتوجيههم بالمشى فى مناكب الارض لاكتساب الرزق ، وفى الوقت نفسه نهى الله نهيا باتا عن مسألة الناس الا فى حدود الضرورة تكريما لهم عن المهانه والضعة حفاظا على كرامة نفوسهم . وقد أشارت الاية القرانية الى السعى وطلب الرزق ، قوله تعالى " هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور "(٣) .

وقد اهتم الاسلام اهتماما عظيما بهذا الشأن . واعطى أكبر فرصة واوسع مجال لكسب الرزق بالانتظام ودعى الجميع فى نداء واحد أن العبودية بعدها عمل وابتغاء لفضل الله وذكر فى كل حال ، قال تعالى " ياأيها الذين أمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فأنتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون "(٤) .

---

(١) سورة التوبه . اية ٦٠

(٢) الاسلام عقيدة وشريعه لشيخ محمود شلتوت ص : ٢٥٠

(٣) سورة الملك . الاية : ١٥

(٤) سورة الجمعه الاية : ٩ - ١٠

وعن عبد للرحمن بن عوف أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لان يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه "(١)

وعن الزبير بن العوام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يأخذ احدكم أحبله ثم يأتى الجبل فياتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس لعطوه أو منعه "(٢)

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم " قال وكان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده "(٣)

ومن هذا يكفل الاسلام سبل الرزق للمسلمين بعيدا عن اكل أموال الناس بالباطل ويهيئ لهم مجالا أوسع فى مثل التجارة عن التراضى والزراعة والصناعة وما الى ذلك من الكسب الحلال . وقال تعالى فى ذلك : ياايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراضى منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما "(٤) .

وعن سعيد قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوق يوم القيامه من سبع اراضين "(٥) .

ولما كان كسب الرزق مطلوبا فى الاسلام فانه يحذر حذرا شديدا اذا كان متنافيا مع الشرع . فكم من الايات القرانية والاحاديث النبوية اشارت الى ذلك ، كما نوه الاسلام الكسب الحلال ونهى عن الاشياء المحرمة بأنواعها من الغش والاحتكار والسرقة والميسر والاقتراب من الربا وغيره .

وفى نفس الوقت فان الاسلام قد حدد حدودا واضحة امام المسلمين كيف ينفقون هذه الاموال والى اى جهة تصرف .

وعند تتبع هذه الامور كلها تجد فى الشريعة السمحة الدعوة الى ترك التبذير والاسراف والبخل والتقتير ، وعلى جميع الاحوال فان المسلم لابد أن يكون وسطا بين الاسراف والتقتير قال تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا "(٦)

---

(١) البخارى جـ ٣ كتاب البيوع ، باب كسب الرجل ص ٩
(٢) رياض الصالحين للامام النووى ص ٢٥٧
(٣) صحيح البخارى جـ ٣ كتاب البيوع باب كسب الرجل ص ٩
(٤) سورة النساء الاية : ٢٩
(٥) صحيح مسلم جـ ٣ كتاب المسافات باب تحريم الظلم ص ١٢٣١
(٦) سورة الاسراء الاية : ٢٩

وأن يكون المسلم ملتزما بالاعتدال فى الانفاق قال سبحانه " كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين "(١) وقال سبحانه " والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما "(٢) .

أما الانفاق على المحرمات فممنوعه قليلة أو كثيرة فلا يجوز الانفاق على الملذات المحرمة كالفحش والخمور والرقص ولبس الذهب من قبل الرجال ونحو ذلك مما وقع فيه المترفون الذين لا يخشون الله تعالى مما ادى الى شيوع الفاحشة فى المجتمع وظهرت فئات كثيرة منحرفة تقوم بهذه الافعال المحرمة التى يهواها هؤلاء المترفون(٣) .

كما ذكر أن للاموال حق ، فحق الاموال هو الزكاة " الزكاة اسم لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى الفقراء . وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة ، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات ، فأنها مأخوذة من الزكاة ، وهو النماء والطهارة والبركة،قال تعالى " خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "(٤) . وهى احد أركان الاسلام الخمسة ، وقرنت بالصلاة فى اثنين وثمانين آية وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة صلى الله عليه وسلم واجماع أمته(٥) .

قال تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله "(٦) روى الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا بن جبل رضى الله عنه الى اليمن قال : انك تأتى قوما اهل كتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله ، فأن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة فى اموالهم تؤخذ من اغنيائهم وترد الى فقرائهم ، فأن هم اطاعوا لذلك فأياك وكرائم اموالهم ، واتقى دعوة المظلوم فأنه ليس بينها وبين الله حجاب "(٧) .

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٣١

(٢) سورة الفرقان الاية : ٣٧

(٣) اصول الدعوه . الدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٤٣

(٤) سورة التوبه الاية : ١٠٣

(٥) فقه السنه ، السيد سابق م : ١ ص ٢٧٦

(٦) سورة التوبه الاية : ٧١

(٧) رواه مسلم ج ١ كتاب الايمان ، باب الدعاء الى الشهادتين ص : ٥٠

فالزكاة عبادة مالية عنى بها الاسلام ، وهى ان يمد الغنى يدة الى الفقير بما يسده حاجته والى مصالح العامه بما يحققها . وهى واجبه على الغنى فيما يفضل عن حاجته وخاصة من ينفق عليهم وعياله ، وبهذه العبادة المالية أوفق الله المسلمين على افضل السبل كل مشاكلهم المالية والاقتصادية مما يقيهم شر الطغيان المالى المفسد الذى تتكدس به الاموال عند يدى البعض - بينما يحرم سائر الأمة ، ويقيهم كذلك شر الفوضى الماكرة المخربة التى تضيع بها جهود الافراد وتتكدس الاموال فى ايدى الحكام بأسم المجتمع . فهى تشريع يحفظ للفرد استقلالة وحريته فى العمل والكسب ، (١) ومورد هام يكفل للفقير حقه وطهره لمال الغنى وبذلك تتحقق العداله الاجتماعية ويعيش الناس فى مجتمع العدل والكفاية الذى ينشده الاسلام .

ونظرا لاهمية الزكاة فى الاسلام لما فيها من صلاح الحياه للمسلمين فأن الله تعالى سدد على اخراج هذا المقدار اذا حال عليه الحول وبلغ النصاب ، لذا جعل القران الزكاة (٢) مع التوبه من الشرك واقامة الصلاة - عنوان الدخول فى دين الله واستحقاق اخوة المسلمين والانتماء الى المجتمع الاسلامى . قال تعالى فى شأن المشركين المحاربين " فأن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم " (٣) وقال سبحانه " فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين (٤) " فلا يتحقق لكافر الدخول فى جماعة المسلمين وتثبيت له اخوتهم الدينية التى تجعله فردا منهم له مالهم ، وعليه ما عليهم ، وتربطه بهم رباطا لا تنفصم عراة الا بالتوبة عن الشرك وتوابعة ، واقامة الصلاة التى هى الرابطة الدينية الاجتماعية بين المسلمين ، وايتاء الزكاة التى هى الرابطة المالية والاجتماعية بينهم ومنهج القران الكريم والسنة المطهرة أن يقرنا الصلاة بالزكاة دائما دلالة على قوة الاتصال بينهما وان اسلام المرء لا يتم الا بهما . فالصلاة عمود الاسلام ، من اقامه فقد اقام الدين ومن هدمه فقد هدم الدين ، والزكاة قنطرة الاسلام ، من عبر عليها نجا ، ومن تجاوزها هلك ، قال عبد الله بن مسعود " أمرتم بأقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له " (٥) وقال جابر بن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعا ، لم يفرق بينهما وقرأ " فأن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأخوانكم فى الدين (٦) " وابى الله أن يقبل الصلاة الا بالزكاة ، وقال : رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعنى بذلك قوله : والله

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ٩٤
(٢) الاسلام ، سعيد حوى ص ١٥٢
(٣) سورة التوبه الاية : ٥
(٤) سورة التوبه الاية : ١١
(٥) الاسلام سعيد حوى ص ١٥٢ نقلا عن كتاب تفسير الطبرى جـ ١٤ ص ١٥٣
(٦) سورة التوبة الاية : ١١

لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، لقد جعل القران ايتاء الزكاة من اوصاف المؤمنين والمحسنين والابرار المتقين وجعل منعها من خصائص المشركين والمنافقين . فهي محك الايمان . وبرهان الاخلاص كما جاء في الصحيح " والصدقة برهان "(٢) وهي فيصل التفرقة بين الاسلام والكفر وبين الايمان والنفاق وبين التقوى والفجور . فبغير ايتاء الزكاة لا ينتظم المرء في عقد المؤمنين الذين كتب الله لهم الفلاح ، وضمن لهم ميراث الفردوس . وجعل لهم الهدى والبشرى . قال تعالى " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون "(٣) وقال سبحانه " هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة "(٤)

وبدون الزكاة لا يدخل في زمرة المحسنين قال تعالى " الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون "(٥)

وبغير الزكاة لا تستحق رحمة الله التي ابى ان يكتبها الا للمؤمنين المتقين المؤتين للزكاة قال تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بايانتا يؤمنون "(٦) .

وبدون الزكاة لا تستحق ولاية الله ورسوله ولا المؤمنين قال تعالى " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون "(٧)

ولقد توعد الاسلام بالعقوبة الشديدة في الدنيا والاخرة كل من منع هذه الزكاة ففي عقوبه الاخرة يقول تعالى مهددا للكانزين للذهب والفضه الذين لا يؤدون منها حق الله " والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لانفسكم

---

(١) رواه مسلم ج ١ كتاب الايمان ص ٥٢

(٢) صحيح مسلم ج ١ كتاب الطهاره باب فضل الوضوء ص ٢٠٣

(٣) سورة المؤمنون الاية ١ - ٤

(٤) سورة النمل الاية ٢ - ٣

(٥) سورة النمل الاية : ٣

(٦) سورة الاعراف الاية ١٥٦

(٧) سورة المائده الاية : ٥٥

فذوقوا ما كنتم تكنزون "[1] .

ويروى البخاري عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامه شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميته (يعنى بشدقيه) ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم الاية " ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم . بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة "[2] .

وفى العقوبة الدينوية يقول عليه السلام " ما منع قوم الزكاة الا ابتلاهم بالسنين " . اى بالقحط والمجاعة ، وفى حديث ثان : ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا "[3] .

من هذا التقرير من القران والسنة المطهره يتبين لنا مدى اهمية الزكاة فى حياة المسلمين اذن فاذا أمد الله العبد بالمال فعليه ان لا ينسى حق السائلين والمحرومين فى المجتمع المسلم ، وعليه ان لا يصرفه الحب للمال عن اداء الواجب فيه وهو حق الفقير ، وهنا يظهر الفرق بين المؤمن المخلص الذى يحب الله اكثر من حبه للمال ، والاخر الذى تغلب شهوته فيحب المال كحب الله أو اكثر كما قال تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله "[4] .

ولا شك ان المتصدق يحس بزوال كثير من الامراض التى فى نفسه مثل الشح والانانية وقسوة الحس فيصبح بأذن الله كريما محبا للناس مرهفا الحس . ولذلك وصفها الله بأنها طهارة وتزكية : " خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها "[5] .

الحج :

هو الركن الخامس من اركان الاسلام ، ثبتت فرضيتة بالقران والسنة المطهره اما القران الكريم فقال تعالى " وللله على الناس حج البيت من استطاع اليه

---

(١) سورة التوبه الاية : ٣٤ - ٣٥

(٢) صحيح البخارى ج ٢ كتاب الزكاة باب اثم مانع الزكاة ص : ١١١

(٣) سورة ال عمران الاية : ١٨٠

(٤) رواه الطبرانى أنظر كتاب قبس من نور محمد د / محمد فائز الطط ص ٢٣٢

(٥) رواه ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن باب العقوبات ص ١٣٢٣

(٦) سورة البقره الاية : ١٦٥

(٧) سورة التوبه الاية : ١٠٣

سبيلا " (١) واما السنه فمنها حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بنى الاسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصيام رمضان ، والحج . (٢)

فهو عبادة معروفه تنظف من الانسان قلبه وبدنه وماله وليس ذلك لغيرها من العبادات فيقوم بها المستطيع من المسلمين فى زمن معلوم وامكنة معلومة امتثالا لامر الله وابتغاء مرضاته " (٣) والمسلم يؤمر بهذه الفريضة اذا تحققت الاستطاعة بوجود الزاد والراحلة وامن الطريق والقدرة على تحمل مشاق السفر ووجود الزوج أو المحرم ليصحب المرأة (٤)

تشمل فريضة الحج على حكم جليلة كثيرة تمتد فى ثنايا حياة المؤمن الروحية ومصالح المسلمين جميعهم فى الدين والدنيا .

ان فى الحج اظهار التذلل لله تعالى . وذلك لان الحاج يرفض اسباب الترف والتزين ويلبس ثياب الاحرام مظهرا فقره لربه ، ويتجرد عن الدنيا وشواغلها التى تصرفه عن الخلوص لمولاه ، فيتعرض بذلك لمغفرته ورحماه ، ثم يقف فى عرفه ضارعا لربه حامدا شاكرا نعماءه وفضله مستغفرا لذنوبه وعثراته ، وفى الطواف حول البيت الحرام يلوذ بجنب ربه ويلجأ اليه من ذنوبه ومن هوى نفسه ووسواس الشيطان . (٥)

ان فى الحج اثرا بالغا فى نفوس المسلمين حين يؤدونه . لان هذه العبادة تتميز عن العبادات الاخرى ، فهى من العبادات التى تتعلق بالمال والبدن ، لذا فهى تؤثر تأثيرا عميقا فى نفوس اصحابها ، ويزيد تأثرهم عندما يضعون أقدامهم فى اول وهله فوق أديم المشاعر وهم ينظرون باعينهم البقاع الطاهرة التى فيها ولد الرسول صلى الله عليه وسلم حامل راية الدعوه . (٦) فى الوقت الذى كان العالم يعيش فى الظلام الحالك والذى لم يعرف الهداية الا بعد مجئ النبى صلى الله عليه وسلم .

وعند قدوم الحجاج الى الارض المقدسه ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فانهم يحسون بسعادة العظمى ان هداهم الله ويفرحون عندما يشاهدون كيف أتم الله نور الاسلام بعد ان كان الناس يعيشون فى الظلام قبل ذلك ، فى الاماكن المقدسة مهبط الوحى وفى تلك البقاع كان يدعو الرسول قومه للايمان وعلى مشارف مكة والمدينة يمكنه

---

(١) سورة ال عمران الاية : ٩٧

(٢) البخارى فى اول الايمان ١ : ٧ ومسلم ١ : ٣٤ ونحو فى حديث جبريل

(٣) الاسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ص ١١٣

(٤) العبادة فى الاسلام الدكتور محمد عبده ص ٢٩٧

(٥) الحج والعمره نور الدين ص ١٤

(٦) الاسلام والرسول احمد بن حجر ال بوطامى ص ٥٤

ان يرى آثار الجهاد ومواقعها ، عندئذ يمتلئ قلبه راحة وتزداد نفسه سعادة بما يشاهد ويعرف من بعده أن الله نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده وانقذ الاسلام والمسلمين من كيد الظالمين وجعل كلمته هى العليا .

وصدق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين يقول الحج عرفة(١) فان فى عرفة تعارف بين المسلمين الذين يفدون فى كل بقاع العالم للتعايش والمودة بينهم على اختلاف أجناسهم وشعوبهم آمالهم فى ان ينالوا مغفرة من الله وفضلا ، ولا تفرقة بين هؤلاء لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى . شعارهم واحد وهدفهم واحد كلهم متجهون الى رضوان الله غير مبالين بالتعب والمشقة . ملتزمين بهذه الحياة الشاقة الخشنة لمدة معلومة وقد حققوا فعلا هذا الهدف المنشود والغاية المطلوبة الا وهى تكوين الحياة المسلمة والمجتمع الاسلامى فى آن واحد بأوامر الله حتى اصبح كل الذين ينتمون الى هذا المؤتمر الكبير خاضعين لله خاشعين له ذاكرين الله كثيرا .

والمسلم حين يؤدى فريضة الحج لابد ان يلتزم بمفهوم الحج الصحيح الذى اراده الله سبحانه فى هذه الفريضة حتى يتجلى امام المسلمين أهمية هذا المؤتمر الفريد فى نوعه الذى يحضره ملايين المسلمين من جميع المعمورة ، ويترك اثرا كبيرا فى نفوسهم من التعارف والتراحم والتعاون والمحبة التى اورثها هذه الفريضة .

ولعل هذه الاهداف هى أول ما لفتت اليه الاية الكريمة التى تضمنت دعوة الناس الى الحج ، قال تعالى " وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير "(٢)

فالمنافع التى جعل الحج سبيلا لشهودها والحصول عليها وهى أول ما ذكر فى حكمة الحج - عامة مطلقة لم تقيد بنوع ولا ناحية وهى بعمومها واطلاقها تشتمل كل ما ينفع الفرد والجماعة "(٣)

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب المناسك باب من اتى عرفه ص ١٠٠٣

(٢) سورة الحج الاية : ٢٧

(٣) الاسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ص ١٣٠

الامـر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ومن الواجبات التى يلتزم بها المسلمون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانه عمل من اعمال الانبياء والمرسلين والعمل الذى مدح الله القائمين به قال تعالى "

كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . (١)

وقد حث الاسلام على دعوة الناس بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لذلك بعث الله الانبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين وذكر الامام الغزالى قوله " الامر بالمعروف - والنهى عن المنكر هو القطب الاعظم فى الدين وهو المهمة التى ابتعث الله لها النبيين اجمعين ، ولو طوى بساطة واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانه وعمت الفتره وفشت الضلاله وشاعت الجهاله واستشرى الفساد . واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك الا يوم التناد ، وقد كان الذى خفنا أن يكون فأنالله وانا اليه راجعون ، اذا قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه واضمحق بالكلية حقيقة ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق واضمحق عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومه لائم . فمن سعى فى تلافى هذه الفتره ، وسر هذه الثلمه اما متكفلا بعمله ، أو متقلدا لتنفيذها . مجددا لهذه السنه الدائره ناهضا بأعبائها ، ومنشرا فى احيائها كان مستأثرا من بين الخلق بأحياء السنه التى انقضى الزمان الى اماتتها ومتمسكا بقربة تتقاعل درجات القرب دون ذروتها " (٢)

وقد وردت فى القران الكريم والاحاديث النبوية ادلة كثيرة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " (٣)

قال ابن كثير فى تفسير الاية " المقصود من هذه الاية ان تكون فرقة من هذه الامة متصدية لهذا الشأن " (٤) وقال سيد قطب " فلابد من جماعة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر " (٥) .

---

(١) سورة ال عمران الاية : ١١٠

(٢) احياء علوم الدين للغزالى جـ ٢ ص ٣٠٢

(٣) سورة ال عمران الاية : ١٠٤

(٤) تفسير القران العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٣٩٠

(٥) فى ظلال القران لسيد قطب م ١ ص ٤٤٤

ومدح الله أهل الكتاب الذين يقومون به وقال تعالى " ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين " (١) .

ليس أهل الكتاب متساوين فى فعل الخير واجتناب النواهى . فمنهم جماعة مستقيمة قائمة بأوامر الله يتلون آياته ساعات الليل وهم ساجدون ، يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالخير وينهون عن كل قبيح ويسارعون فى اعمال البر والخيرات واولئك من الصالحين .

وقال تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسولة اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم " (٢)

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ووعدهم بالرحمة فالذى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين الموصوفين فى هذه الاية . (٣)

وجعل الله تعالى القيام به سببا للنجاة فى قولة تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيئس بما كانوا يفسقون (٤)

واعتبره من اوصاف المؤمنين الذين وعدهم الله بالنصر والعز والتمكين ، قال تعالى " ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز، الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم " مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينه فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأن تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا " (٦) .

ففى هذا الحديث دليل كما يقول الامام القرطبى على تعذيب العامة بذنوب الخاصة وفيه استحقاق العقوبة للجماعة كلها عند ظهور المعاصى وانتشار المنكر وعدم التغيير ، واذا لم تغير المنكرات وترجع الامور الى حكم الشرع وجب على المؤمنين المنكرين بها بقلوبهم

---

(١) سورة ال عمران ١١٣ - ١١٤

(٢) سورة التوبه الاية : ٧١

(٣) عظمة الاسلام محمد عطية الابراشى ص ٢١٥

(٤) سورة الاعراف الاية : ١١٠

(٥) سورة الحج الاية : ٤٠ - ٤١

(٦) رواه البخارى رياض الصالحين للامام النووى ص ١٠١ - ١٠٢

هجرات تلك البلدة والهرب منها ."(١)

ومقابل ذلك ذم الله سبحانه تركه وجعل تركه سببا للعنته والابعاد عن رحمته فقال تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم قوله " لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون "(٢) .

وذكر الله سبحانه بأن ترك الامر بالمعروف والعمل بخلافه من صفات المنافقين ، فقال سبحانه " المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون "(٣) اى يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء " يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم "(٤) .

وبين الله سبحانه وتعالى بأن الامر بالفحشاء من عمل الشيطان واعوانه قال تعالى " ياايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ."(٥)

وقد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كان اول ما اصاب بني اسرائيل من النقص فعن عبد الله بن مسعود قال " قال رسول الله صلى الله علية وسلم ان اول ما دخل على بني اسرائيل ، انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فأنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال " لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ، الى قوله (فاسقون)(٦) ثم قال : " كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوبكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم "(٧) .

---

(١) تفسير الجامع لاحكام القران للقرطبى ج ٧ ص ٣٩٢

(٢) سورة المائدة الاية : ٧٨ - ٧٩

(٣) سورة التوبه الاية : ٦٧

(٤) تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٨

(٥) سورة النور الاية : ٢١

(٦) سورة المائدة ٧٨ - ٨١

(٧) رواه ابو داود والترمذى ، رياض الصالحين للامام النووى ص ١٠٥

وعدم القيام بهذه المهام ليس فقط حرمان حصول النصر والتمكين فى الارض وعدم استخلاف من الله تعالى وانما حرم سبحانه استجابة الدعاء من قبل الصارقين وسلط عليهم سلطان ظالم وتفشى المنكر والرذيله وزهق الحق والكرامة . قال صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم "(١) .

قال ابو الدرداء رضى الله عنه " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطان الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم "(٢) .

وليس الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مقصورا على بيئة معينة أو فى حال دون حال بل فى كل الاوقات والاحوال وعلى كافة المستويات .(٣)

قال صلى الله عليه وسلم لصحابته " اياكم والجلوس فى الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فأذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه، قالوا وما حق الطريق يارسول الله ؟ قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر "(٤) .

ومن هذه الادله تشاهد دلالة قاطعة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكونه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة تجب اقامتها واعزازها ولهذا قال جمهور العلماء ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على كفاية . اذ قام به من يكفى سقط عن الباقين ، فأن لم يوجد أحد يقوم به كان فرض عين على المسلم القادر "(٥) وعلى ذوى السلطان والولاية ، لان عليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فأن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على القادر مالا يجب على العاجز "(٦) وقال تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم "(٧) .

وبينما يذهب البعض منهم الى انه فرض عين وواجب محتم وعلى كل مسلم أن يؤدى بنفسه على قدر استطاعته ولوكان هناك من يقوم به من آحاد الناس أو من هو متفرغ لتأديته ومأمور

---

(١) رواه الترمذى رياض الصالحين للامام النووى ص ١٠٤

(٢) احياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٠٧

(٣) نظام الحسبة فى الاسلام ، عبد العزيز بن محمد ص ٩٨

(٤) متفق عليه ، رياض الصالحين للامام النووى ص ١٠٣

(٥) الحسبه فى الاسلام لابن يتميه ص ١٠

(٦) نفس المرجع ص ١٠

(٧) سورة التغابن الاية : ١٦

باقامته من قبل الدوله وهم يشبهونه بفريضة الحج فهى فرض عين ولكن على المستطيع ، بل ان الامر بالمعروف عندهم اكد من فريضة الحج لان الامر بالمعروف لم تشترط فيه الاستطاعة بينما شرطت فى الحج "(١) .

(من الفقهاء من جعل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل الحج وحجتهم فى ذلك أن الحج يجب عند الاستطاعة بخلاف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا تشترط فيه الاستطاعة ، والصحيح أنه يأتى بعد الحج لان الحج من عمد الاسلام واركانه التى نص عليه بخلاف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه واجب يأتى بعد استيفاء الاركان ، لذا اخرته عن الحج .)

ومهما كان فأن صلاح العباد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فأن صلاح المعاش والعباد فى طاعة الله ورسوله ، ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبه صارت هذه الامه خير امة أخرجت للناس(٢) وقال تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيئس بما كانوا يفسقون "(٣) فأخبر الله تعالى أن العذاب لما نزل نجى الذين ينهون عن السوء . واخذ الظالمين بالعذاب الشديد .

وفى الثابت(٤) أن ابا بكر الصديق رضى الله عنه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها على غير موضعها " ياايها الذين أمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم "(٥) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ان الناس اذا راوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب منه

وروى عمرو عن هشيم قال انى سمعت رسول الله يقول " ما من قوم يعمل فيهم المعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لم يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب "(٦) .

وفى الاثار "(٧) أن المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت ولم تغير أضرت بالعامة

---

(١) نظام الحسبه فى الاسلام دراسة مقارنة ، عبد العزيز بن محمد ص ٩٨

(٢) السياسه الشرعية لابن يتميه ص ٨١

(٣) سورة الاعراف الاية ١٦٥

(٤) ذكره ابن يتميه فى السياسة الشرعية ص ٨٢

(٥) سورة المائدة الاية : ١٠٥

(٦) سنن ابى داود جـ ٤ كتاب الملاحم باب الامر بالمعروف ص ١٢٢

(٧) احياء علوم الدين جـ ٢ ص ٣٠٨

اذن فالمسلمون مطالبون بقيام هذه المهمة بقدر استطاعتهم وأن يكونوا على وعى تام بشأن العون والبركة معهم اذا آمنوا وعملوا الصالحات والتزموا بما امر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى " ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكذبون "(١) .

لذا وقد(٢) جرت سنة الانبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوه الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان كان محفوفا بالمكاره والمخاوف ولكم قتل فى سبيل ذلك منهم من نبى وصديق ، فكانوا أفضل الشهداء ، وفى حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك(٣) .

ورواه ابو داود فى سننه عن ابى سعيد مرفوعا (افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) أو (امير جائر)(٤) .

وقد ورد من تصدى علماء السلف لنصيحة الملوك والامراء الظالمين وايذاء هؤلاء لهم وسفكهم دماء بعضهم ما يرد شرط اولئك المشترطين للامن عليهم ويضرب به وجوههم ولا ينافى هذا كون التوقى من الهلكه واجبا لذاته فى هذه الحالة ، كما يجب فى حالة الجهاد بالسيف فلا نترك الدعوة الى الخير ولا الجهاد دونه خوفا على انفسنا حرصا على الحياة الدنيا ولا نفرط بأنفسنا فى اثناء دعوتنا وجهادنا فيما لا نتوقف الدعوة ولا حمايتها عليه . وقد يكون اكثر ما يصيب الداعى الى الخير من الاذى ناشئا عن طريق الدعوة وكيفية سوقها الى المدعوين .

وكانت الدعوة مؤيدة بالكتاب والسنة وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى احسن(٥) .

لذا تظهر أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وآثاره الهامة فى صون المجتمع وحفظه من الخلل والاضطراب وسد الثغرات التى قد تضر المسلمين ، ولهذا شكل الالتزام

---

(١) سورة الاعراف الاية : ٩٦

(٢) المنار سيد رشيد الرضا ج ٤ ص ٣٢

(٣) الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير ج ٢ ص ٣٥

(٤) سنن ابن داود ، ج ٤ كتاب الملاحم باب الامر بالمعروف ص ١٢٤

(٥) سورة النحل الاية : ١٢٥

بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولاية من أهم الولايات الاسلامية وهى ولاية الحسبه التى تتفرع وتدخل فى اكثر حياة المسلمين مقومة للمسلمين دافعة للخلل والفش والاستغلال وغيرها فاذا التزم المسلمون بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر عزوا وارتفع شأن مجتمعهم .

وخلاصة القول أن للعمل الصالح نتائج باهرات ، هى أسمى ما تتمناه الافراد والجماعات قال تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى ولا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "(١) .

هذا وعد الله الصادق فلن يخلف الله وعده ، أمور ثلاثة جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الايمان ، وهى اسمى ما يتصوره الانسان وتتفانى فى سبيله الامم وهى استخلاف الارض وتمكين دينهم الذى ارتضاه لهم ، وتبديلهم بعد الخوف أمنا وطمانينه

والاستخلاف فى الارض خلافة عن الله وعمارة الكون ، وتوزيع العدل والاحسان بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تتفانى الامم فى سبيله وتضحى بأبنائها واموالها ابتغاء الوصول اليه وما استقامت عقيدة ولا استقر سلطان ولا وجد مجد وسؤدد ولا شعرت امة بالعزه الابه .

وتمكين الدين والعقيدة نعمه عظيمة ومقصد رفيع يتبعه استقرار النفوس وراحة الضمائر والشعور بالعزة والكرامة .

وليس أشهى على النفس . ولا امتع للقلب ولا أهنأ للروح من أن يرى الانسان ان عقيدته هى صاحبة السلطان والنفوذ لها فى نفوس الناس .

والامن بعد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة . وما أحلى الامن يستقر بعد الفرق ، وما أعز به يتدفق بعد القلق عندئذ يندفع الانسان نحو العمل الصالح الصافى القلب متجها الى الله ملتمسا عفوه ورضاه راجيا للخير والنفع للعباد "(٢) .

---

(١) سورة النور الاية : ٥٥

(٢) من عدة المسلمين تأليف محمد محمود الصواف ص ٨٥ - ٨٦ ط ١ سنة ١٣٨٨ هـ .

المبحث الثالث
الالتزام بالاخلاق الفاضلة

قبل أن اتكلم عن الاخلاق يسرني أن اذكر معنى الاخلاق لغة واصطلاحا والمقصود من الالتزام بها .

التعريف بالاخلاق

الاخلاق لغة :

فقد جاءت كلمة الخلق الخليقة أعني الطبيعة ، وفي التنزيل " وانك لعلى خلق عظيم " (١) والجمع أخلاق لا يكسر على غير ذلك .

والخلق والخلق : السجية يقال خالص المؤمن وخالق الفاجر ، وفي الحديث " ليس شئ في الميزان أثقل من حسن الخلق " (٢) .

الخلق بضم اللام وسكونها وهو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه صورة الانسان الباطنه وهي نفسه واوصافها ومعانيها المختصه بها بمنزلة الخلق واوصافها ومعانيها ، ولهما اوصاف حسنه وقبيحه ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنه اكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ، ولهذا تكررت الاحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع كقوله " من اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق " (٣) اهـ .

عرفها الغزالي " بانها عباره عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية " (٤) .

وذكر بعض العلماء تعريف الاخلاق " بأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقره في النفس وفي ضوئها ومضمونها يحسن الفعل في نظر الانسان أو يقبح ومن ثم يقدم أو يحجم عنه " (٥) .

والالتزام بالاخلاق : هو التمسك والاعتصام بهذه المجموعة والصفات المستقره في النفس حتى تكون النفس الانسانية لائقة مع كيانها قال تعالى " ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم " (٦) وقال سبحانه " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم

---

(١) سورة القلم الاية : ٤

(٢) الجامع الصغير للسيوطي جـ ٢ ص ١٣٥

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح جـ ٣ ابواب البر ص ٢٤٥ ذكر هذا التعريف في لسان العرب لابن المنظور م ١٠ ص ٨٦ - ٨٧

(٤) احياء علوم الدين للغزالي جـ ٣ ص ٥٢

(٥) اصول الدعوه د / عبد الكريم زيدان ص ٧٥

(٦) سورة التين الاية : ٤

(١)
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " .

وقبل أن اتكلم عن الاخلاق فى الاسلام أشير الى مفهوم الاخلاق عند اليونانيين ، وقد تحدث اليونانيون عن الاخلاق واكثروا ، بخاصة سقراط حيث اتفق مؤرخو الفلاسفة انه المؤسس الاول لفلسفة الاخلاق ، وانه أنزل الفلسفة من السماء الى الارض ، لان الفلاسفة من قبله كانوا يهتمون بالبحث فى اصل الكون ومصدره وكواكبه وعناصره ابتغاء الوصول الى معرفة قوانين الطبيعه وعلومها ، فحول سقراط هذا البحث الى نفس الانسان وسلوكه وسعادته وشقائه وفنائه وخلوده ونشاطه وفاعليته ، ابتغاء الوصول الى معرفة الفضيلة ، والقيم العليا وعلى اية حال فقد انتهى اليونانيون بفلسفهم الاخلاقية التى قادها ارسطو الى ان قال بأن الفضيلة وسط بين الرذيلتين ، فالشجاعة مثلا فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور والكرم فضيلة لانه وسط بين الاسراف والتقتير ، وبقليل من التأمل يظهر الخطأ والقصور فى هذه النظرية كمنهج كامل ومطرد ، وذلك بأن هناك فضائل كثيرة باعتراف اليونانيين أنفسهم ليس وسطا بين الرذيلتين ، منها الصدق فانه فضيله وتقابله رذيلة الكذب ولا ثالثة . منها العفو عن المعتدى فانه رحمة وفضيلة فى بعض الاحيان ويقابله القصاص وهو عدل وانصاف ولا رذيلة الا الاعتداء ، فأين الرذيلتين ؟ بل هى رذيلة بين فضيلتين وليس فضيلة بين رذيلتين . ومنها الامانه (٢)

وكلامه فى الاخلاق مبنى على نظرية المثال ، وتوضيح ذلك انه كان يرى ان وراء هذا العالم المحسوس عالم آخر روحانى ، وان لكل موجود مشخص مثالا غير مشخص فى العالم العقلى أو الروحانى ، طبق ذلك على الاخلاق فقال ان بين هذه المثل مثالا للخير وهو معنى مطلق أزلى ابدى بالغ الكمال ، وفهم هذا المثال يحتاج الى رياضة النفس وتهذيب العقل ومن ثم لا يدرك الفضيلة فى خير اشكالها الا من كان فيلسوفا .

وكان يرى ان فى النفس قوى مختلفة او الفضيلة تنشأ من تعامل تلك القوى وخضوعها لحكم العقل ، وذهب الى ان اصول الفضائل اربعة ، الحكمه ، والشجاعة ، والعفه ، والعدل وهى قوام الامم كما انها قوام الافراد ، ففى الامم نرى الحكمه فضيلة الحكام ، والشجاعة فضيلة الجنود والعفه فضيلة الرعية ، والعدل فضيلة الجميع ، تحدد لكل انسان عمله وتطلب منه ان يعمل على احسن وجه ، وكذلك من الفرد ، الحكمة هى الفضيلة الحاكمه للشخص المدبرة له .

---

(١) سورة الاسراء الاية : ٧٠

(٢) فلسفة الاخلاق لمحمد جواد مغنيه ص ٢٢ - ٢٣

والشجاعة فضيلة بها يدفع الشرور ، والعفة بها يقاوم الميل الى التغالى فى اللذائذ والعدل الفضيلة الدامغة للعمل بما يتفق مع مصلحة الناس .

ونظرية المثل لا تقوم على اساس حقيقى ، فأين مثال الاخلاق الذى يحكى عنه ارسطو وهو لا يعرف أن الله الذى له المثل الاعلى فى السموات والارض ، وان قصر معرفة الله على الحكماء دعوى باطلة ولا داعى للخوض فى ارراء الفلاسفة ، فهم فقط أحسوا بالاخلاق ولكنهم لم يعرفوها ولم يطبقوها ، وانما ذكرت قوله لأبين مراحل محاولة التعرف على الاخلاق فى المجتمعات التى عاشت قبل الاسلام .

ولما جاء الاسلام دعا الى الاعتقاد بأن الله مصدر كل شئ فى العالم ، فما فى الكون من ظواهر مختلفة ومخلوقات متنوعة من الحبة فى ظلمات الارض الى السماء ذات البروج فانما صدر منه وقام وانتظم .

كما خلق الانسان ووضع له نظاما يتبعه وطريقا يسير عليه وشرع له امورا من صدق وعدل امره باتباعها وجعل السعادة فى الدنيا والاخره جزاء من اتبعها . وعلى عكسها من كذب وظلم ورذائل نهى عنها وحذر من ارتكبها ، وجعل الشقاء فى الدنيا والاخرة عقوبة لمن ارتكبها ، قال الله تعالى " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر " (١) وقال تعالى " من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " (٢) .

وان الله لم يأمر بما امره اعتباطا ولا نهى عما نهى كذلك بل ان الله جعل صلاح الدنيا يتوقف على امور من عدل وصدق وامانه وجعل فسادها بأضدادها فأمر بما علية صلاح الدنيا وانتظام شؤنها ونهى عما يسبب فسادها ، قال تعالى " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما " (٣) .

وما توقفت عليه مصلحة الناس وبدونه يفسد نظامة كالمحافظة على الارواح والاموال امر به امرا لا هوادة فيه وسماه فرضا ، ومن اجل هذا اعظم عقوبة القاتل والسارق ، وما يترتب علية رفاهية الناس فحسب طولب به مطالبه دون الاولى وندب اليه كعيادة المرضى (٤) .

---

(١) سورة النحل الاية : ٩٠

(٢) سورة النحل الاية : ٩٧

(٣) سورة البقره الاية : ٢١٩

(٤) الاخلاق لاحمد امين ص ١٠٣ - ١٠٤

لاجل ذلك فأن الله سبحانه علق اعمال الانسان بعقيدة الايمان بالله وتقديس له وهذه من شأنها ان توقظ حواس الخير وتربى ملكة المراقبة وتبعث على طلب معالى الامور واشرافها وتنأى بالانسان عن محقرات الامور وسفاسف الاعمل .

وجميع العبادات والمعاملات وكل اوامر الله ونواهية انما تتجه هذه الاتجاه وتدور فى هذا الفلك " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط "(١) فالاية تقرر ان الغاية من انزال الكتب وارسال الرسل واقامة الحق والعدل فى الارض ولا يدع الاسلام ناحية من نواحى الخلق الحسن الا ويدعو اليها بقوة ويحث عليها فى حماسة ، ومقياس الايمان الخلق ، يقول الرسول صلى الله علية وسلم " اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائكم "(٢) .

وقد يجهد المرء فى عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع عنها فى ليل ولا فى نهار فيديم صيام النهار فلا يفطر ، وقيام الليل فلا يفتر ولا ريب فى ان المواظبة على هذا والمثابرة عليه من عمل الصديقين وليس كل انسان يقادر عليه ولا يستطيع له ، لكن الاسلام يفتح باب هذا الخير فى طريق الخلق ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ان المؤمن ليدرك بحسن خلقة درجة الصائم القائم "(٣) .

وتفاضل الناس واغتنامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب اخلاقهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " انا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت فى وسط الجنه لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى اعلى الجنة لمن حسن خلقه "(٤) .

وان يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية ، يقول صلى الله عليه وسلم " ما من شئ اثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وان الله يبغض الفاحش البذئ "(٥)

والخلق انما يصور عن نفس سمحه وضمير حى فكما يبدو حسنه فى الامر الكبير يتجلى كذلك فى الامور التى تبدو وكأنها لا شأن لها "(٦)

---

(١) سورة الحديد الاية : ٢٥

(٢) رياض الصالحين للامام النووى ص ٢٨٨

(٣) رواه ابو داود عن عائشة رضى الله عنها ، رياض الصالحين للنووى ص ٢٨٩

(٤) رياض الصالحين للنووى ص ٢٨٩

(٥) رواه الترمذى ، رياض الصالحين للنووى ص ٢٨٨

(٦) دعوة الاسلام . سيد سابق ص ١٢٢

وأهم مبادئ الاخلاق هى مبدأ الواجب والعدالة والمساواة الانسانية والرحمة والحرية والمسئولية التابعة لها والاخلاص والصدق والمحافظة على العهود والامانة والتسابق الى الخيرات والفضيلة واتقان العمل والاعتدال فى امور يكون الافراط أو التفريط ضارا فيها وان يضع الانسان نفسه موضع الاخرين عند المعاملة وامر الالتزام بالسلوك الخير وترك السلوك الضار أو السيئ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون فى ذلك .

وعندما اتطرق الى الالتزام والتمسك بالاخلاق لابد ان ارجع الى اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه قدوة فيجب على المؤمنين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا "(١) .

فيجب علينا أن نؤمن بأن رسول الله صلى الله علية وسلم قد حباه الله بخلق عظيم فقال تعالى وصفا لرسول الله صلى الله علية وسلم (وانك لعلى خلق عظيم)(٢) وروى عن قتادة انه قال قلت للسيدة عائشة رضى الله عنها يا ام المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : تقرأ القران ، قلت بلى ، قالت : فان خلق النبى كان القران(٣)

وهذه النصوص التى تدل على كمال صفاته صلى الله علية وسلم وكرامة اخلاقه وانه صلى الله عليه وسلم نفسه أقرأ بهذا الكمال والكرامة اقرارا يتجلى فى قولة " بعثت لاتمم مكارم - الاخلاق "(٤) .

والنصوص السابقة تدل على شمول وكمال أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته وكان عظيم الرحمه والشفقة بأمته حتى امره الله تبارك وتعالى بالتخفيف عن نفسه كما قال سبحانه " افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فأن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليهم بما يصنعون "(٥) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحلى بجميع الصفات الفاضلة من الكرم والجود والحلم والصبر والمروءة والشكر والعدل والنزاهة والصدق والامانه وما الى ذلك من الاخلاق

---

(١) سورة الاحزاب الاية : ٢١

(٢) سورة القلم الاية : ٤

(٣) صحيح مسلم جـ ٢ كتاب المسافر باب جامع صلاة الليل ص ٥١٣

(٤) مسند احمد بن حنبل جـ ٢ ص ٣٨١
وانظر كتاب كشف الخفاء ومزيل الالباس ، الشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى جـ ١ ص ٢١١

(٥) سورة فاطر الاية : ٨

والصفات التى تحدث بها كتب السيره النبوية والتى قامت فى السمو والعظمه بدرجة بـــزت بها أخلاق جميع البشر المتقدمين والمتأخرين .

ومن بين الصفات الحميدة والاخلاق الفاضلة التى يجب ان يلتزم بها المسلمون :
الاخـلاص ، الصبر ، والرحمـــة والتواضع ؛

واليـك حديثا موجـزا عنها : -

أ - الاخلاص

الاخلاص من الصفات التى يجب أن يلتزم بها المسلم فى حياته كما امره الله قال تعالى " وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء "(١)

الاخلاص هو التعرى عما دون الله تعالى(٢) وقيل افراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعـات بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله دون شئ آخر من التصنع لمخلوق أو اكتساب - محمده عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب الى الله سبحانه ويصلح ان يقال فى تعريف الاخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين "(٣) .

ومن هنا يتبين " ان الاخلاص امر عظيم ، لان العمل شروط فى قبوله ان لا يشوبه شئ - من رغبته احد أو رهبته سوى الله سبحانه "(٤) قال تعالى " ويطعمون الطعام على حبـــه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا "(٥) .
قال سيد قطب فى تفسير الاية " انما نطعمكم لوجه الله " الى فهم الرحمه الفائضة من القلوب الرقيقة ، تتجه الى الله تطلب رضاه ولا تبتغى بها جزاء من الخلق ولا شكرا ، ولا تقتصـــد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء كما تتقى بها يوما عبوسا شديد الهبوس ، تتوقعـــه وتخشاه وتتقيه بهذا الوفاء ، وقد دلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهويقول " اتقـوا النار ولو بشـق التمرة "(٦) .

---

(١) سورة البينه الاية : ٥
(٢) مفردات غريب القران للراغب الاصفهانى ص ٢٢١
(٣) دليل الفالحين جـ ١ ص ٣٧
(٤) مرشد الدعاه لشيخ محمد نمر الخطيب ص ٢٠٣
(٥) سورة الانسان الاية ٨-٩
(٦) فى ظلال القران لسيد قطب م ٦ ص ٣٧٨١ - ٣٧٨٢ الحديث رواه البخارى ٧/٧٩

ففى هذه الاية يقدر اخلاصهم اذ انهم لا يريدون على اطعامهم الطعام مع حبهم له جزاء ممن اطعموهم ولا شكرا منهم عليه .

وقال تعالى " وسيجنبها الاتقى " الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى "(١) .

أى ان التقى سيبعد عن النار ، وهذا التقى هو الذى يخرج ماله لله متزكيا به عند الله بأن يخرجه لا رياء ولا سمعة فيكون زاكيا ناميا عند الله ، ومتى اخلص الانسان فى عمله كان مقبولا(٢) .

وليكون العمل صالحا ومقبولا عند الله تعالى فلا بد ان يقترن هذا العمل بخالص النية لله تعالى . بعيدا عن الرياء والسمعة ، لان الرياء سيفقد روح الاخلاص ، ويصبح العمل هشورا وهباءا لا قيمة . قال تعالى " ياايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين"(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام تحذيرا للمؤمنين مذكرا لهم على ان يكونوا محسنى النيه بالله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه "(٤) .

وخطورة شأن النيه والاخلاص فى العمل يتجلى فيمن يرفع السيوف ذاهبا الى ارض المعركه سواء كان غالبا أو مغلوبا ، فان مقياس عمله هذا يترتب على مدى حسن النيه والاخلاص لله تعالى ، فان كانت مشاركته فى الجهاد خالصة لوجة الله فانه فى زمرة المجاهدين الذين يحبهم الله ورسوله فيكون جهاده حقا فى سبيل الله كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال " سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءا ، اى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله

---

(١) سورة الليل الاية : ١٧ - ٢١

(٢) دعوة الاسلام لسيد سابق ص ١٧٩

(٣) سورة البقره الاية : ١٦٤

(٤) صحيح البخارى جـ ١ كتاب بدء الوحى باب كيف بدء الوحى ص ٢

صلى الله عليه وسلم " من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله " (١) .
والله سبحانه وتعالى قد وضع الاخلاص فى المقام الاول بين الصفات الحميدة حتى اصبحت اعمال الانسان تقاس بهذا المقياس ، فيتوقف قبولها على مدى أخلاص النيه فى العمل ما دام اخلاص العمل لله تعالى فهو مقبول . عن انس رضى الله عنه قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله علية وسلم فقال " ان اقواما بالمدينه خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا فيه حبسهم العذر " (٢) .
وقال صلى الله علية وسلم " ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم " واشار بأصابعه الى صدره (٣)

فالله سبحانه لا ينظر الى الاجسام الظاهره ولكن ينظر الى القلوب ما فى الصدور .
فالاخلاص الذى يتطلبه الاسلام هو الصدق فى القول والامانه فى العمل هو المرؤه هو ان تعمل فى السر ما لا تستحى منه فى العلانية وهو البعد عن الكذب والرياء والنفاق لان هذه الصفات جميعها تحبط اعمال الانسان وليست مقبولة عند الله تعالى .

اذن الخير كل الخير ان يلتزم المسلم بكل ما فى وسعه من الطاقة بهذه الصفة الحميده رغبة لرضاء الله لما فى صلاح حياته فى الدنيا والاخره .

ب - الصبر :

الصبر من الصفات الحميدة وهى التى لابد ان يتحلى بها المسلم ويلتزم بها .
وهى من لوازم الحياه ، فضلا على انها سلاح المؤمنين ويتحلى بها الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فى مواجهة الطغيان والجحود ، واستطاعوا بها التغلب على الابتلاء والامتحان مهما كلفتهم التضحية .
" الصبر قوة خلقية من قوى الارادة تتكن الانسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والالام ، وضبطها عن التأثر بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والطيش والخوف والاهواء والشهوات والغرائز (٤)

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ كتاب الاماره ، باب من قاتل ص ١٥١٣
(٢) صحيح البخارى جـ ٣ كتاب الجهاد والسير باب من حبسه العذر ص ٢١٣
(٣) رواه مسلم جـ ٤ كتاب البر والصله والاداب ، باب تحريم ظلم المسلم ص ١٩٨٧
(٤) الاخلاق الاسلامية واسسها عبد الرحمن حنبكه الميدانى جـ ٢ ص ٢٩٣

عرف الامام الغزالى الصبر بأنه عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوه " فـأن ثبت حتى قهره ، واستمر على مخالفة الشهوة ، فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين "(١)

فالصبر كما قال البعض " حبس النفس عن الجزع والتسخط . وحبس اللسان عن الشكـوى وحبس الجوارح عن التسويش "(٢) .

انـواع الصبر :

الصبر على ثلاثة انواع ، صبر على طاعة الله ، صبر عن معصية الله ، وصبر على المصائب أما الصبر على طاعة الله فيكون بالمحافظة عليها دوما والاخلاص فيها ووقوعها على مقتضـى الشرع ومما يعين على تحصيلة المعرفة بالله وحقة على العباد وحسن الجزاء للمطيعين ، واما الصبر على المعصية فيكون بهجر السيئات والفرار من المعاصى والدوام على هذا القرار وذلك الهجر . ومما يعين على تحصيل هذا الصبر استحضار الخوف من عذاب الله ، واعلى مـن هذا استحضار الحياء من الله والمحبه له مع استحضار ثمرة هذا الصبر وهى ابقاء الايمـان وتقويته وانمائه لان المعصية تنقص الايمان أو تضعفه أو تكدره أو تذهب نوره وبهاؤه .

واما الصبر على البلاء والمصائب فيكون بترك التسخط واحتمال المؤلم المكروه وترك الشكـوى للناس ، فان الصبر الجميل ينافيه الشكوى للمخلوق ، اما الشكوى لله فلا تنافيه ، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام " انما اشكوبثـى وحزنى الى الله "(٣) وقال سبحانه عن ايوب " رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين "(٤) .

مع قوله تعالى عنه فى اية اخرى " انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب "(٥) .

ومما يستدعى هذا الصبر استحضار نعم الله التى لا تعد ولا تحصى فتهون على المصاب مصيبته ويقل وقعها على نفسه ويكون مثله مثل من يعطى الف دينار ويفقد فلسا واحدا ، ومما يعين ايضا على الصبر على البلاء تذكر الجزاء العظيم للصابرين "(٦) .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٦٢

(٢) تهذيب مدارج السالكين ابن قيم الجوزية هذبه عبد المنعم صالح العلى ص ٣٥٣

(٣) سورة يوسف الاية : ٨٦

(٤) سورة الانبياء الاية : ٨٣

(٥) سورة ص الاية : ٤٤

(٦) اصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص ٣٣٥ - ٣٣٦

الصبر هو الفضيلة التى كلف الله بها اولى العزم من الرسل فعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله علية وسلم قال " ان الله تعالى لم يرضى من اولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يرضى الا ان كلفنى ما كلفهم فقال : " فاصبر كما صبر اولى العزم من الرسل (١) سأل رسول الله صلى الله علية وسلم جماعة " أمؤمنون انتم ؟ فقال عمر ، نعم يارسول الله فقال فما علامة ايمانكم ؟ فقال نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال مؤمنون أنتم ورب الكعبة " (٢)

هذا الحديث يدل على ان الصبر علامة من علامات الايمان واقرار الرسول صلى الله عليه وسلم يؤيد ذلك .

ولهذا كان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا ايمان لمن لا صبر له . كما انه لا جسد لمن لا رأس له . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " خير عيش ادركناه بالصبر" واخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح " انه ضياء" (٣) وقال (من يتصبر يصبره الله " (٤) وفى الحديث الصحيح " عجبا لامر المؤمن ! ان أمره كله خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر ، فكان خيرا له . وان اصابته ضراء صبر . فكان خيرا له (٥)

والناس على فترات مختلفة كانوا مصابين بالمصائب والابتلاء فمنهم من ثبت ايمانهم وقويت عقيدتهم ووطدت عزائمهم قال تعالى " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " (٦) ومنهم من لم يصبر على أتفه الابتلاء فخر خاضعا امام المتطلبات الشيطانية فيكون من اصحاب الندامه .

وهؤلاء الذين كانوا واقفين صامدين امام التحديات مستسلمين لامر الله كانوا من الذين انعم الله عليهم كامثال ابراهيم واسماعيل وايوب ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين ، ثم خلف من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فتأسوا برسولهم الكريم حتى يكتب لهم النجاح فى سبيل الله .

وفى قصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام عندما نفذا اوامر الله بذبح اسماعيل ابنه

---

(١) سورة الاحقاف الاية : ٣٥

(٢) ذكره السيد سابق فى كتابه دعوه الاسلام ص ١٣٥

(٣) رواه مسلم فى صحيحه جـ ١ كتاب الطهاره باب فضل الوضوء ص ٢٠٣

(٤) صحيح البخارى جـ ٢ كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسئله ص ١٢٩

(٥) تهذيب مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ص ٣٥٣ ـ الحديث رواه مسلم جـ ٤ كتاب الزهد باب المؤمن امره كله خير ص ٢٢٩٥

(٦) سورة الاحزاب الاية : ٢٣

الحبيب دلاله تحمل الصبر مهما كلف ثمنه . قال تعالى " يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين "(١) فلما اخذ ينفذان انزل الله لهما كبش فدا .

ومن امثلة الصبر - صبر ايوب عليه السلام فقد قدم مثالا يقتدى به قال تعالى " وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين "(٢) .

كان ايوب عليه السلام عبدا صالحا ، امتحنه الله بالغنى فبسط له الرزق الكثير ورزقه اهلا وبنين ، فكان من الشاكرين ، ثم امتحنه الله بالمصائب ، فقد المال والاهل والولد ولما اشتد به الضر ، وطال الزمن ، وهجره الناس حتى زوجته الوفيه ، واجتاز فترة الامتحان بنجاح فكان عبدا شكورا ، فكان عبدا صبورا ونادى ربه " انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين "(٣)(٤)

وان اروع ما قدمه التاريخ الانسانى كله ما سجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنا التاريخ(٥) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف يدعوهم الى الايمان بالله وحماية رسولة ودينه بعد ان افتقد ذلك بين ظهرانى مكة فلم يدع احدا من اشرافهم الا جاءه وكلمه ودعاه الى الاسلام ولكنهم لم يستجيبوا لله وللرسول ، بل طلبوا منه الخروج من بلدهم واغروا به سفهاءهم فكانوا يسبونه اذا اقبل عليهم ويرمونه بالحجارة اذا ادبر عنه حتى ادموا القدمين الشريفين وزيد بن حارثه رضى الله عنه يحميه بنفسه ، فلما لم يجد عندهم بغيته انصرف عنهم راجعا الى مكه وفى مرجعه ذلك دعا بالدعاء " اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا ارحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتهجمنى او الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن على غضب فلا ابالى ولكن عافيتك هى اوسع لى - اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بى غضبك او يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك "(٦) .

---

(١) سورة الصافات الاية : ١٠٢

(٢) سورة الانبياء الاية : ٨٣ - ٨٤

(٣) كتاب الاخلاق الاسلامية جـ٢ ص ٣٠٢ لعبد الرحمن حنبكه الميدانى

(٤) سورة الانبياء الاية : ٨٣

(٥) هذه سبيلى . العدد الثامن السنه الثانية ١٣٩٦ هـ ص ١٣٣

(٦) سيرة النبوية لابن هشام جـ ١ - ٢ ص ٤٢٠

هذا الصبر وما بعده صبر وقدوة للمؤمنين فى حمل هذه الدعوة وتحمل جميع المشتقات فى سبيلها .

لذا جاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من يقتدى به فى هذا السلك العظيم فالصحابة رضوان الله عليهم ومن سلك طريقهم قد قاموا بأداء هذه المهمه الكبيرة ، وابتلوا ابتلاء حسنا ، وتحملوا جميعا وتذرعوا بالصبر . وقصص الصحابة ومن بعدهم اكثر من ان - تذكر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابه والمسلمين جميعا واعطاهم فى سلوكه درسا حيا فقد قام هؤلاء الاقدمون جهودهم وارواحهم صابرين ومتحملين صنوف الاذى . روى البخارى عن خباب بن الارت انه قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فى الارض فيجعل فيه ، فيجاء بالميشار فيوضع على راسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون "(١) .

جـ - الرحمـــه :

وهى صفة من الصفات المحموده ينبغى ان يلتزم بها المسلمون فى حياتهم وهى من صفات المولى تباركت اسماؤه فان رحمته شملت الوجود كله ، ولذلك كان من صلاة الملائكه له " ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم "(٢) ومن عمر بن الخطاب رضى الله عنه " قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى - فأذا امرأه من السبى تبتغى اذا وجدت صبيا فى السبى اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا رسول الله صلى الله علية وسلم أترون هذه المرأه طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله - وهى تقدر على ان لا تطرحه . فقال رسول الله الله ارحم بعباده من هذه بولدها "(٣)

---

(١) صحيح البخارى جـ ٤ كتاب المناقب باب علامات النبوه ص ١٧٩ - ١٨٠

(٢) سورة غافر الاية : ٧

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب التوبه باب سعة الرحمه ص ٢١٠٩

وكثير من اسماء الله الحسنى ينبع من معانى الرحمه والكرم والفضل والعفو فقد جاء فى حديث قدسى قال تعالى " ان رحمتى تغلب غضبى "(١) .

فالله سبحانه وتعالى رب هذا الدين هو الرحمن الرحيم هو الذى وسع كل شئ رحمة وعلما وسبقت رحمته غضبه " وجعل الله الرحمه مائة جزء فأمسك عنده تسع وتسعين جزءا — تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه "(٢) .

والله سبحانه وتعالى ارسل رسوله وذوده بالعلم والحلم وزينه بالاخلاق الفاضلة وهو الذى يقوم بتربيته فأحسن التربية يقول مصطفى صلى الله عليه وسلم " أدبنى ربى فأحسن تأديبى "(٣) فالله سبحانه وتعالى تولى هذا الامر بنفسه فلذا قال سبحانه " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين "(٤) .

التربية التى يتلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من الله سبحانه وتعالى ويقتبس من رحمته تعالى كانت تتجلى من خلال حياته صلى الله عليه وسلم مع اهله واصحابه رضوان الله عليهم . فهذه رحمة الله التى نالته ونالتهم فجعلته صلى الله عليه وسلم رحيما بهم لينا معهم ولوكان فظا غليظ القلب ما تألفته القلوب ، ولا تجمعت حوله المشاعر ، فالناس فى حاجة الى كنف رحيم ، والى رعاية فائقة والى بشاشه سمحه وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ، فى حاجة الى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم الى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحه والود والرضاء .

وهكذا كان قلب رسول الله ، وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشرى ولا احتجز لنفسه شيئا من اعراض هذه الحياة بل اعطاهم كل ما ملكت يداه فى سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه وودة الكريم ، وما واحد منهم عاشره أو راه الا امتلا قلبه بحبه نتيجة لما افاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيبة(٥) .

ومن هذه السيره العطره ينبغى على المسلمين ان يقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب التوبه باب سعة الرحمه ص ٢١٠٨

(٢) صحيح البخارى جـ ٧ كتاب الادب باب جعل الله الرحمه ص ٧٥

(٣) الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير للسيوطى جـ ١ ص ١٤
انظر ايضا فى المقاصد الحسنه للسخاوى ص ٢٩ .

(٤) سورة ال عمران الاية ١٥٩

(٥) فى ظلال القران لسيد قطب م : ١ ص ٥٠٠

فى ممارسة حياتهم سواء مع اهليهم وذويهم أو مع بعضهم بعضا حتى تصبح حياة المسلمين منسجمه مع مبادئها وتعاليمها متلائمة مع الارشادات الالهيه وفية بحاجات البشر جميعا وليكون المسلمون على وعى دائم بأن هذه المبادئ لا بد أن يطبقوها . لتكون هذه المبادئ متفاعله بين افرادها سواء كانت فى البيوت أو فى الطرقات أو فى المجتمعات كلها وفى تلك الحاله تزدهر الحياة .

فتعاليم الاسلام تهتم بجميع الاشياء ولم يتركها الا وقد تطرق بابها ، وفى باب الرحمه فتحت المجال أوسع مع الناس ، كبيرهم وصغيرهم بين الزوج والزوجة والاولاد جميعا ، لذا نرى " ان الاسلام امر بالتراحم العام وجعله من دلائل الايمان الكامل ، فالمسلم يلقى الناس قاطبة وفى قلبه لهم عطف مذخور وبر مكنون .
فهو يوسع لهم ويخفف عنهم جهد ما يستطيع (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذى نفسى بيده لا يضع الله الرحمه الا على رحيم ، قلنا يارسول الله كلنا رحيم ؟ قال ليس الذى يرحم نفسه واهله خاصة لكن الذى يرحم المسلمين " (٢) .

وقد جاءت الاحاديث النبوية الحاثه على هذه الرحمه الشامله فقال رسول الله صلى الله عليو وسلم " لا يرحم الله من لا يرحم الناس " (٣) وقال عليه الصلاة والسلام " من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له " (٤) .
وقال ايضا " ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء " (٥) .

د - التواضع :

التواضع من الصفات الحميده حثنا الله سبحانه وجميع المؤمنين ان يتصفوابها ونهاهم عن الكبر لانه يحبط العمل الصالح ويمحو أجره وفى الاخره عذاب اليم ، ولا يجوز للمسلم ان تبقى فى قلبه ذرة من الكبر لانه شر يمقته الله سبحانه وتعالى . قال صلى الله عليه وسلم " لا يدخل الجنه من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر " (٦) .

---

(١) خلق المسلم محمد الغزالى ص : ٢١١
(٢) انظر مكارم الاخلاق للامام الطبرانى تحقيق د / فاروق حماده ص : ٥١
(٣) صحيح البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تبارك وتعالى ص : ١٦٥
(٤) رواه احمد جـ ٤ ص : ٣٦٥
(٥) كتاب ، كشف الخفاء ومزيل الالباس للشيخ اسماعيل محمد العجلونى جـ ١ ص : ١٠٩
(٦) صحيح مسلم جـ ١ كتاب الايمان باب تحريم الكبر ص ٩٣ والترمذى جـ ٣ ص ٢٤٣

أما التكبر فليس من اخلاق المسلمين ، انه نهج ابليس عليه لعنة الله ، وكل من نهج منهجه استحق الطرد واللعن من الله سبحانه ، ولو عرف المتكبر ان اوله نطفة لخجل من نفسه ووقف عند حدوده ، واخلص العبادة لله رب العالمين ، وتواضع لخالقه لان الانسان كلما تواضع لله رفعه الله . وكلما تكبر عليه ووضعه وفصمه ، وقد اكد النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله " وما تواضع احد لله الا رفعه الله "(١) وقال ايضا " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامه ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم ، شيخ زان ، وملك كذاب وعائل مستكبر "(٢) .

التواضع معناه(٣) تذلل وتخاشع ، فالتواضع اذن هو الخشوع لله وخفض الجناح تذللا للمؤمنين ، ولين الجانب العامه الناس ، وقبول الحق ممن قاله ايا كان ، وهو بعد ذلك من الاخلاق الفاضله والصفات العالية ، به يتحقق التألف والود ولا يعرف التواضع الا من عرف ربه ونفسه "(٤) .

وكان من اهداف تعاليم الاسلام القضاء على نزعة التكبر والاستعلاء التى فشت فى العالم لذا قال صلى الله عليه وسلم منفرا من الكبر والاستعلاء " الا اخبركم بأهل النار " كل عتل جواظ مستكبر "(٥) وقال صلى الله عليه وسلم يحث على التواضع بعد ان حذر ونفر من نقيضه " وان الله اوحى الى ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد "(٦) .

فلا عجب ان نرى التواضع من الصفات السلوكية الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم الجالبه لمحبته ومحبة صحبه ، وقد ضرب بتواضعه صلى الله عليه وسلم المثل ، فلم يعرف عنه ان رفض دعوة أقل الناس شأنا ، ولا رد هدية مهما صغرت قيمتها ، وان الامة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتطلق به فى حاجتها ، عن انس رضى الله عنه قال كانت الامة من اماء اهل المدينه لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت(٧) ولم يتعال على احد من قومه بل كان يقول " انما انا عبد الله "(٨) .

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب البر باب استحباب العفو ص ٢٠٠١

(٢) رياض الصالحين للامام النووى باب تحريم الكبر ص ٢٨٦

(٣) القاموس المحيط ـ الفيروز آبادى جـ ٣ ص ٩٥

(٤) دعوة الاسلام لسيد سابق ص ١٩٨

(٥) صحيح البخارى جـ ٧ كتاب الادب باب الكبر ص ٩٠

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنه جـ ١٧ ص ٢٠٠ ط : ٣ ، ١٣٩٨

(٧) صحيح البخارى جـ ٧ كتاب الادب باب الكبر ص ٩٠

(٨) صحيح البخارى جـ ٥ كتاب المغازى باب غزوة الطائف ص ١٠٦ الجامع الصغير جـ ١ ص ١٠٣ .

وكان صلى الله عليه وسلم يجالس فقيرهم ويرحم صغيرهم ، يؤس المحزونين ولم يكن يأنف من عمل يعمله لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار ، ولقد واتته الدولة والسلطان وهو في حجرات من طين ، يرقع ثوبه و يخصف نعله ويقيم بيته وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير "(١)

جاء رجل يرتعد يوم فتح مكه فقال صلى الله عليه وسلم : هون عليك فأنه ليس بملك انما أنا ابن امراه من قريش كانت تأكل القديد من مكه "(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم هين المؤنه ، لين الخلق ، كريم الطبع ، جميل المعاشره طلق الوجه بساما ، متواضعا من غير ذل جوادا من غير مسرف ، رقيق القلب رحيما بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين ، لين الجانب لهم ، وقال صلى الله علية وسلم " ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ - أو تحرم عليه النار - تحرم على كل قريب هين لين سهل "(٣) .

وقال " لو دعيت الى كراع لاجبت أو اهدى الى ذراع لقبلت "(٤) .

اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الحال فخليق بكل مؤمن ان يقتدى به . ولا بد ان يبتعد عن الكبر خشية من الله سبحانه لانه تعالى نهى المؤمنين عن خلق الكبر فقال تعالى " العز ازارى والكبرياء ردائى فمن ينازعنى عذبته "(٥) .

قال صاحب تنبيه الغافلين " اعلم ان الكبر اخلاق الكفار والفراعنه والتواضع من اخلاق الانبياء والصالحين ، لان الله تعالى وصف الكفار بالكبر فقال " انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون "(٦) .

وقال تعالى " وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين "(٧)

وقال " ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين "(٨) وقال " ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين "(٩) .

---

(١) صفة الصفوة ، جمال الدين ابن الفرج ابن الجوزى ج ١ ص ١٩٧

(٢) مع الانبياء ، عفيف طباره ص ٤٢٥

(٣) رواه الترمذى ج ٤ ابواب صفة القيامة باب ١٥ ص ٦٦

(٤) ابن قيم الجوزية في تهذيب مدارج السالكين ص ٤٢٨ الحديث رواه البخارى ج ٦ كتاب النكاح باب في اجاب الى كراع ص ١٤٤

(٥) رياض الصالحين للنووى ص ٢٨٦ رواه مسلم

(٦) سورة الصافات الاية : ٣٥

(٧) سورة العنكبوت الاية : ٣٩

(٨) سورة غافر الاية : ٦٠

(٩) سورة غافر الاية : ٧٦

وقال " انه لا يحب المستكبرين "(١) .

وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال " وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا "(٢) يعني متواضعين . ومدحهم بالتواضع وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتواضع فقال " واخفض جناحك للمؤمنين "(٣) " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين "(٤) .

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بخلقة فقال " وانك لعلى خلق عظيم "(٥) لانه روى في الخبر انه كان يركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ، فثبت ان التواضع من احسن الاخلاق وكان الصالحون من قبل اخلاقهم التواضع ، فوجب علينا ان نقتدي بهم رضي الله عنهم "(٦) .

فقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى والقدوة الحسنة . اذ اليه يرجع الكمال في كل شيء ، ومنه يعرف الكمال في كل شيء ولا كمال لاى مسلم الى الله الا باتباعه والاقتداء به والتأسي منه فعلى المسلمين ان يسيروا على هذا النهج في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يواجهون الجاهلية الحديثة ويقارعون الطغاه ، ويقتدون الباطل ويدعون الى الحق والعدل والدين غير هيابين ولا وجلين ، يفاضلون بين قوى الخير وقوى الشر وبهذا تستني لسلفهم الصالح ان يشيدوا الممالك ويعمروا الارض ويقيموا منارات الهدى في كل صقع ، وما تتم المفاصلة الكامله بين قوى الخير وقوى الشر لن يتحقق وعد الله بالنصر .

---

(١) سورة النحل الاية : ٢٣

(٢) سورة الفرقان الاية : ٦٣

(٣) سورة الحجر الاية : ٨٨

(٤) سورة الشعراء الاية : ٢١٥

(٥) سورة القلم الاية : ٤

(٦) تنبيه الغافلين الشيخ نصر بن محمد بن ابراهيم المسرقندي ص ٦٧ - ٦٨ مطبعة دار احياء الكتب العربية مصر .

الفصل الثالث
اثر الالتزام بالكتاب والسنه

المبحث الاول : اثر الالتزام فى الفرد والجماعة

المبحث الثانى : اثر الالتزام فى انتشار الدعوة الاسلامية

المبحث الثالث : اثر الالتزام فى تقدم المسلمين وظهور الحركه الاصلاحية .

المبحث الاول

اثر الالتزام فى الفرد والجماعه

قد تناولت فى الفصل السابق الالتزام واركانه ، وتطرقت الى الاشياء التى لا بد أن يلتزم بها كل مسلم ليكون مسلما صحيح العقيدة والعمل والاخلاق . وفى هذا الاطار اتكلم - ان شاء الله - عن نتيجة هذا الالتزام فى حياة للفرد والجماعة .

اثر الالتزام فى الفرد

ان الله سبحانه وتعالى قد خاطب المسلمين عامة منذ بدات الرساله ليتمسكوا بدين الله ويلتزموا به ، وخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك . وجعله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنه لامتثال جميع اوامره ونواهيه وليكون الرسول صلى الله علية وسلم شهيدا على المؤمنين قال سبحانه " لقد كان لكم فى رسول الله اسوه حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا "(١) وقال تعالى " وجئنا بك شهيدا على هؤلاء "(٢) .

وقد علق الله سبحانه رجاء الله والنجاة فى اليوم الاخر بالاقتداء برسول الله فيما جاء به من عند الله ، والخضوع خضوعا تاما واستسلاما كليا .

قال ابن كثير فى تفسيره " هذه الاية الكريمة اصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقواله وافعاله واحواله . ولهذا امر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين قلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى امرهم يوم الاحزاب " لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة " اى هلا اقتديتهم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال تعالى " لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا "(٣) .

فقام الصحابه رضوان الله عليهم بأمتثال ما تلقوا من صاحب الرساله بالاحترام التام والالتزام الكامل والخضوع المطلق والتعظيم والتكريم والاجلال وعدم التهاون والاستخفاف

---

(١) سورة الاحزاب الاية : ٢١

(٢) سورة النحل الاية : ٨١

(٣) تفسير القران العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٧٤

به والتضحية فى سبيله بكل غال ونفيس .

لذا نجد فيهم من انفق ماله وروحه جهادا فى سبيل الله وابتغاء رضوانه فى الاخيره انطلاقا من قوله تعالى " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم "(١) .

ومنهم من هجر أهله ومسقط راسه حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرارا الى الله بدينه قادما الى بلاد غريبة مستسلما الى الله متمسكا بتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق " فلما راى رسول الله ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانة من الله ومن عمه ابى طالب ، وانه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشه فأن بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهى ارض صدق ، حتى يجعل الله فرجا مما انتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم الى ارض الحبشة مخافة للفتنه ، وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجره فى الاسلام وكان اول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابو حذيفه بن عتبه مع امرأته ، والذبير بن العوام ، مصعب بن عمير ، عبد الرحمن بن عوف ....."(٢) فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر اليها من المسلمين ، بضعة وثمانون رجلا "(٣) .

وقد بلغ هذا التمسك والالتزام جدا جعل كل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم يتحملون الاذى والابتلاء بكل صبر وجلد ، ومازال ذلك الابتلاء الذى تحمله اهل ياسر صورة من الصور التى واجهها الصحابة رضوان الله عليهم الى ان قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه " صبرا ال ياسر موعدكم الجنة "(٤) .

استمر الصحابة رضوان الله عليهم يحملون النور والهداية فى مواجهة الظلام الدامس

---

(١) سورة التوبه الاية : ١١١

(٢) السيره النبوية لابن هشام جـ ١ - ص ٣٢١

(٣) انظر المرجع السابق جـ ١ ص ٣٣٠ وفتح البارى جـ ٧ ص ١٣٠

(٤) السيره النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٣٢٠

لاخراج الناس من ضيق الدنيا الى سعة الاسلام ، فلولا الصبر الجميل والفداء الكامل لما وصلوا الى الهدف المنشود ، لذا ربى الرسول صلوات الله وسلامه عليه اصحابه وعلمهم العلم والمعرفة ليكونوا قادرين على تحمل الصعاب امام الناس جميعا الى ان شهد التاريخ بطولتهم فى نشر دين الله .

" كانوا يهبون انفسهم واموالهم فى سبيل الله فنالوا شرف المساهمة فى نشر الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها .

وقد كان الموت احب اليهم من الحياة والشهادة أشهى عندهم ، وكما تعرف الانسانية صحابة لنبى فى مثل حماستهم وشجاعتهم فهى لم تعرف ايضا مثيلا لهم فى الزهد والنزاهة والترفع عن المطالب العاجله ، فكانوا يقفون الى جانب النبى صلى الله علية وسلم وقفة الرجل الواحد وهم يناضلون بسيوفهم لتكون كلمة الله هى العليا . وقد آمنوا بأن الله اشترى منهم اغلى شئ لديهم ارواحهم ومتلكاتهم .

وكان من اسرار اندفاعهم يقينهم بمثوبة الله لهم ثم شعورهم بأوضار الجاهلية وتذوقهم حلاوة الاسلام ، فرغبوا ان يكونوا السابقين فى نصرة هذا الدين "، وعرفوا واجبهم تجاه الانسانية واخراجها من الظلمات الى النور ، فكان لهم مقابل ذلك جنة عرضها السماوات والارض أعدت لامثالهم المتقين "(١) .

فحادثة يوم الرجيع مثلا اشارت الى موقفهم الراسخ فى حمل هذه الدعوه ، قال ابن اسحاق " قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقاره - قال ابن اسحاق فقالوا : يارسول الله ان فينا اسلاما ، فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القران ، ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة من اصحابه ، وهم : مرثد بن ابى مرثد الغنوى ، وخالد بن البكير الليثى ، وعاصم بن ثابت بن ابى الاقلح ، وخبيب بن عدى ، وزيد بن الدثنه وعبد الله بن طارق " .

وامر الرسول صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن ابى مرثد الغنوى ، فخرج معهم القوم ، حتى كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهداه غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم ، وهم فى رحالهم ، الا الرجال بايديهم السيوف فقد غشوهم فأخذوا اسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم ، انا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد

---

(١) كيف انتشر الاسلام لمؤيد كيلانى ص ١٥

أن نصيب بكم شيئا من اهل مكه ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

فأما مرثد بن ابى مرثد ، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا ابدا .

فقاتلوا القوم حتى قتلوا جميعا .

واما زيد بن الدثنه وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق . فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فاعطوا بايديهم ، فاسروهم ، ثم خرجوا الى مكه ليبيعوهم بها ، حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ، ثم اخذ سيفه ، واستاخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنه فقدموا بهما الى مكة (١) قال ابن اسحاق : واما زيد بن الدثنه فابتاعة صفوان بن امية ليقتله بابيه ، امية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نسطاس ، الى التنعيم ، واخرجوه من الحرم ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان ابن حرب ، فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يازيد اتحب أن محمدا عندنا الان فى مكانك نضرب عنقه وانك فى اهلك ؟ قال : والله ما احب ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذية ، وانى جالس فى اهلى ، قال : يقول ابو سفيان : مارايت من الناس احدا يحب احدا كحب أصحاب محمد محمدا ، ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله (٢) .

وأما خبيب بن عدى الذى ابتلاه الله ابتلاء حسنا ، فقد اشتراه عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه ، فلما خرجوا بخبيب من الحرام ليصلبوه قال لهم ، ان رايتم ان تدعونى حتى اركع ركعتين فافعلوا قال دونك فاركع ركعتين أتمهما واحسنهما ثم اقبل على القوم فقال اما والله لولا تظنوا انى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، فلما اوثقوه قال " اللهم انا بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداه ما يصنع بنا ، ثم قال " اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم احدا واستقبل الموت وهو ينشد (٣) " .

فلست أبالى حين أقتل مسلما ، على اى جنب كان فى الله مصرعى وذلك فى ذات الاله وان يشأ " يبارك على اوصال شلو ممزع (٤) " .

---

(١) سيرة النبوية لابن هشام ج ٣ - ٤ ص ١٦٩

(٢) المرجع السابق ص ١٧٢

(٣) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية محمد الراوى ص ١٦٦

(٤) رواه البخارى ج ٥ كتاب المغزى باب فضل شهداء

هذه صورة من صور حياة الصحابه رضوان الله عليهم ، فكانوا يواصلون الجهاد امام الباطل ليحل العدل والرحمه محل الجور والظالم ، فكانوا شديدى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

لان الرسول قد وضع بين ايديهم التعاليم واضحه الدلالة لمسير عليها والتمسك بها .فقام صلى الله عليه وسلم مخاطبا فى خطبة الوداع بعد الحمد والثناء فقال " ياايها الناس — اسمعوا قولى لا ادرى فأنى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا ، ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، كحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده امانه فليودها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤس اموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله . وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان اول دمائكم اضع دم ابن ربيعه ابن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا فى بنى لبث ، فقتله هذيل فهو اول ما ابدأ به فى دماء الجاهلية .

أما بعد ،ايها الناس ،فأن الشيطان قد يئس من ان يعبد بأرضكم هذه ابدا ، ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من اعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

ايها الناس ، ان النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عنده ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما احل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم : ثلاثة متوالية ، ورجب مضر (١) الذى بين جمادى وشعبان . اما بعد أيها الناس فأن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احد تكرهونه وعليهن ان لا يأتين بفاحشة مبينه ، فان فعلت فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فأن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، — واستوصوا بالنساء خيرا فأنهن عندكم عوان لا يملكهن لانفسن شيئا وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا ايها الناس قولى فأنى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه .

---

(١) انما اضاف رجبا الى مضر لانها كانت تعظمه وما كان احد من العرب يفعل ذلك سواها

أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم ، وان المسلمين أخوه ، فلا يحل لامرئ من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه فلا تظالمن انفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ (١)

وكان الصحابه ومن بعدهم رضوان الله عليهم قد بنوا حياتهم على هذه العقيدة — الصحيحه والمبادئ العالية ، وبذلوا ما لديهم من الطاقة وجهدوا فى سبيلها واقتحموا الصعاب والمصائب حتى انتصروا .

اذن لا غرابة عندما وقف الصحابى الجليل ابو بكر الصديق رضى الله عنه بهذا الروح القرانى امام الجموع من الصحابة الكرام حين كانوا يبايعونه خليفة لرسول الله فقال مخاطبا بعد الحمد والثناء على الله .

" اما بعد ايها الناس فأنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فأن احسنت فأعينونى ، وان اسأت فقومونى ، الصدق امانه والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى اريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى اخذ الحق منه ان شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء ، اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم " (٢) .

وما قدمه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه نموذجا فى تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فقال " أيها الناس اسمعوا واطيعوا ، فقال احدهم لا سمع ولا طاعة ياعمر ، فقال عمر بهدوء لم ياعبد الله ؟ فأجاب لان كلا منا اصابه قميص واحد من القماش الذى ورد من الشام وانت اطول منا فكيف يكفى القماش لستر عورتك ، فقال له الخليفة مكانك ، ثم نادى ولده عبد الله بن عمر فشرح عبد الله انه قد اعطى اباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه ، فامتنع الصحابه وقال الرجل فى احترام وخشوع الان السمع والطاعة (٣) .

ودل على شديد تمسك عمر ابن الخطاب بالكتاب والسنة فأنه دخل يوما من الايام على امراة عجوز فى خيمتها وسألها عن حالها فقالت له : لا جزى الله عمر عنى خيرا ، فقال لها عمر ولم اصلحت الله ؟ فشكت اليه انها لم تتلق منه عونا منذ ولى الخلافه ، فقال لها عمر ما يدرى امير المؤمنين بأمرك وانت لم تبلغيه بشكواك ، فقالت له ما حسبت ان احدا يلى امر المسلمين الا ويعلم بين مشرقها ومغربها ، فجعل عمر يبكى ويقول ويحك يا عمر كم اضعت من حقوق المسلمين ، وذهب واحضر لها كل حقها من بيت مال المسلمين وبينما

---

(١) السيره النبوية لابن هشام ج ٣ - ٤ ص ٦٠٣ - ٦٠٤

(٢) الروض الانف فى شرح السيره النبوية لابن هشام للامام المحدث عبد الرحمن السهيلى ج ٧ تحقيق عبد الرحمن الوكيل ص ٥٥٦

(٣) الحرية السياسية فى الاسلام د / احمد شوقى الفنجرى ص ١٤٨

هى تتسلم حقها اذ مر جماعه من الصحابه وقالوا السلام عليك ياامير المؤمنين ، فصاحـــت المرأة ، وقالت ، واسواتاه ، سببت امير المؤمنين فى وجهه وقد اكرمنى ، فقال عمر لا عليك ،(١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٩

فسلفنا الصالح كانوا على ملازمة للكتاب والسنة . والقيام بهما والدفاع عنهما امام الطغاة مهما كانت قوتهم ، هذا ما وجدنا اصحاب بدر عليه كانوا يقفون ببساله وصمود امام الجموع من المشركين رغم قلة العده والعدد ولكنهم واقفون بقوة ايمانهم مع حبهم للشهادة فيكون الفلاح والنصر حليفهم . قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذله فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١) .

وما قدمه اصحاب احد الا نموذجا للتمسك والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يجاهدون بروح صابرة دفاعا عن دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم ، وقال ابو جعفر : فلما اتى المسلمون من خلفهم انكشفوا واصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لما اصابهم ما اصابهم من البلاء أثلاثا : ثلث قتيل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم ، وقد جهدته الحرب حتى ما يدرى ما يضع واصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى وشقت شفته وكلم فى وجنتيه وجبهته فى اصول شعره ، وعلاه ابن قميئه بالسيف على شقه الايمن ، وكان الذى اصابه عتبه بن ابى وقاص (٢) .

وما قدمه الصحابه الكرام كأمثال خالد بن الوليد وابى عبيدة الجراح وجعفر بن ابى طالب وزيد بن حارثة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين دليلا واضحا على مدى تأثير التزامهم بتعاليم الاسلام وتمسكهم الوطيد بما جاء به القران الكريم والسنة المطهرة .

لذا نجد فى التاريخ الاسلامى انهم شواهد على ان الذين التزموا قد شاركوا فى الفتوحات الاسلامية العظمى والجهاد فى سبيل الله كأمثال قتيبه بن مسلم الباهلى ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى وموسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقى وصلاح الدين الايوبى وغيرهم - رضوان الله عليهم اجمعين .

هذا ، وقد ذكر الدكتور حسن ابراهيم حسن قوله " لما مات عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ هـ خلفه ابنه الوليد ، وقد ظل فى الخلافه عشر سنين وكان عهده عهد فتح ويسر ورخاء فاتسعت فى ايامه رقعة الدوله الاموية شرقا وغربا ، كما خففت اعباء الحياه عن عاتق جمهور المسلمين بعطفة على الفقراء والمعوزين ، واهتمامه باحوال رعيته وسهره على مصالحهم وعمله على تخفيف الام مرضاهم ، وتخصيصه اعطيات للمجزومين لمنعهم عن سؤال الناس كما اعطى

---

(١) سورة ال عمران الاية : ١٢٣

(٢) تاريخ الطبرى ، تاريخ الامم والملوك لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ج ٢ ص ٥١٤ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الناشر دار سويدان بيروت لبنان .

كل مقعد خادما يهتم بأمره وكل ضرير قائدا يسهر على راحته ... وبعد سطور يقول — المؤلف : تمكن الوليد بفضل السلام الذى انتشرت الويته بين ربوع بلاده من اعادة عهد الفتوح التى تمت فى عهد من سبقه من الخلفاء ، فاتسعت رقعة املاكه فى المشرق والمغرب وقد اشتهر فى عهد الوليد ثلاثة من القواد كان لهم اثر عظيم فى هذه الفتوح هم : قتيبه بن مسلم الباهلى ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى وموسى بن نصير (١)

وذكر صاحب كتاب المجتمع العربى قوله " استطاع القائد قتيبه بن مسلم عبور نهر جيحون وتثبيت اقدام المسلمين وراءه ، وغزا بخارى ، واخضع سمرقند وقاد حملة الى مقاطعات نهر سيحون - فيما بين سنتى ٧١٣ - ٧١٥ واستولى عليها .

ثم توغلت الفتوحات فى الهند بقيادة محمد بن القاسم وقد استطاع الاستيلاء على مناطق كثيره منها ساحل السند وجنوب البنجاب وصبغت مقاطعات الحدود الهندية بالصبغة الاسلامية وقد اصبحت السند فى الجنوب ، وطشقند فى الشمال الى الشرقى الاقصى للخلافه (٢) .

وفى افريقيا تقلدها موسى بن نصير مولى عبد العزيز بن مروان من قبل الوليد ابن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ، فخرج من مصر على رأس جيش قاصدا افريقية . فلما بلغها ضم اليه جيشا اخر جعل على مقدمته مولاه طارق بن زياد ، ثم اخذ موسى يقاتل البربر ويبسط نفوذ الامويين وينشر الاسلام فى ارجاء بلاد المغرب حتى بلغ طنجة ، وكانت قصبة بلادهم ، وام مدائنهم ، فحاصرهم حتى فتحت واسلم اهلها وقلد طارق ولايتها (٣)

وبعد فتح طنجة ندبه موسى ابن نصير لفتح اسبانيا لانه توسم فيه صدق العزيمة وقوة الشكيمة وشدة البأس وصلابة العود فوق ما امتاز به من حسن الكلام وقوة البيان والقدرة على التأثير فى قلوب سامعيه ، وما اشتهر عنه من الاخلاص فى الجهاد .

وفعلا وفى شهر شعبان ٩٢ - ٧١١ عبر طارق البحر قاصدا اسبانيا فقام فى اصحابه فحمد الله واثنى عليه ، والقى عليهم خطبته المشهورة التى حثهم فيها على الجهاد والتذرع بالصبر . ومناهم الاماني الطيبة ، وبشرهم بما سيفتحون من بلاد ويصيبون من غنائم وينعمون فى دنياهم واخرتهم فقال " أيها الناس ، اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى د / حسن ابراهيم حسن ج ٣ ص ٣٠٠ ط ٧ ١٩٦٤ .

(٢) المجتمع العربى د / محمد كامل ليله ص ١٤٦ الناشر دار الفكر العربى ١٩٦٦

(٣) تاريخ الاسلام السياسى د / حسن ابراهيم حسن ج ٣ ص ٣١٠

وليس لكم والله الا الصدق والصبر ، واعلموا انكم فى هذه الجزيره اضيع من الايتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشة ، واسلحته واقواته موفوره ، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدى عدوكم .

وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ، ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراه عليكم . فأرفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذه الطاغية وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . وانى لم احذركم امرا انا عنه بنجوة حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس . ابدا بنفسى ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ الطويل (١) فامضوا الى الامام حتى كتب الله لهم النصر .

فواصل بعده حتى عبد الرحمن الغافقى الذى نال هذا الشرف العظيم فى تاريخ الفتوحات الى ان وصل الى جنوب فرنسا ، وقاتل مع جيش المسلمين قتالا شديدا حتى استشهد فى معركة بلاط الشهداء .

ذكر الدكتور احمد شلبى " بعد أن تم فتح اسبانيا استدعى الخليفة الوليد القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد الى دمشق . وعاد موسى بن نصير مع مولاه الى الشام بعد فتح الاندلس ، ولم يحقق موسى امله فى اختراق جبل البرانس والزحف جنوبى فرنسا الحاليه ثم جاء بعد السمح بن مالك فى عهد عمر بن عبد العزيز فاخترق جبل البرانس وزحف الى الشرق ولكن محاولته لم تنجح فقتل سنة ١٠٢ هـ ، وتمت بعد ذلك غارات تكاد تكون متصلة فى عهد عتبه بن سحيم الذى كانت له الولاية بعد السمح ، على ان اعظم المواقع خطرا حدثت عندما تولى عبد الرحمن الغافقى قيادة المسلمين سنة ١١٢ هـ .

وقد تقدم عبد الرحمن فى فرنسا تقدما محسوسا وكسب النصر فى كثير من المعارك وظل يتقدم حتى وصل الى بلدة تور الشهيرة على مسافة حوالى ٧٠ كليو مترا من باريس جنوبى نهر السين على ان تقدم عبد الرحمن وانتصاراته ازعجت الفرنجة واللاتين وغيرهم من سكان البلاد المحيطة كما ثارت خوف المسيحين كثيرا من بلاد اووربية ، ولذا نجد هؤلاء جميعا يتجمعون بقيادة شارل مارتل ليقاتلوا عبد الرحمن وجيشه فى معركة سماها المسلمون بلاط الشهداء سنة ١١٤ هـ !

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى . د / حسن ابراهيم حسن ج ٣ ص ٣١٤
نقل هذه الخطبه من المقرى ج ١ ص ١١٣ - ١١٤

(١)
وقد خر عبد الرحمن فى هذه المعركة وتقهقر جيشه بعد صراع طويل " .

" على ان وقعة بلاط الشهداء تعتبر فاصلة فى التاريخ العام من وجهة الاوروبية ، فقد ترتب عليها تغيير مجرى التاريخ الى حد كبير . فقد عرض اكثر من مؤرخ لهذا الواقعة فقال جيبون انه لو انتصر العرب فى (نور) (بواتيه) لتلى القران الكريم وفسر فى اكسفورد وكمبردج .(٢)

ونجد ايضا من ضمن هولاء الابطال صلاح الدين الايوبى الذى جاهد لتحرير فلسطين من براثن الصليبيين ، فقد خاض معركة حطين سنة ١١٨٧ م بشجاعة وبسالة حتى استرد القدس "(٣)

" والحق ان حروب صلاح الدين ضد صليبيين قد جعلته من اشهر ملوك الشرق فى اوروبه . اما فى الذاكره الشرقية فلا يزال اسمه خالدا الى جانب اسم هارون الرشيد كرمز لحقبة من أسعد حقب التاريخ وأهنأها "(٤) .

وباختصار كل اولئك هم غذاهم الاسلام بمبادئه ونشأهم على تعاليمه وجعل منهم مثالا فى ميدان البطوله الذى لا يشق له غبار فقد خاضوا المعارك لا لابراز شجاعتهم ولكن لتكون كلمة الله هى العليا . وفى ميدان العلم والمعرفة جعل منهم الاسلام ائمة فى الدين ، وفى دروب العبادة جعل منهم رهبانا فى الليل كما قال تعالى " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون "(٥)

وفى ميدان البر والاحسان جعل منهم الاسلام زهارا فى الفضل يبذلونه طلبا لعظيم الاجر وفى اموالهم حق للسائل والمحروم الى غير ذلك من حميد مزاياهم .

هذه النتيجه الملموسة ثمرة من ثمرات الالتزام والاعتصام بما امر به الله ورسوله التى تتمثل فى عقيدتهم وسلوكهم حتى فتح الله البلاد على ايدى هؤلاء الملتزمين .

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامى . د / احمد شلبى جـ ٢ ص ١٢٨ ط ٥ ١٩٧٨ .

(٢) المسلمون فى اوروبا فى العصور الوسطى ، الدكتور ابراهيم على طرخان ص ١٥٧ سجل العرب القاهره ، ١٩٦١ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية لبركلمان ص ٣٥٦ ط ٨

(٤) نفس المرجع ص ٣٥٨

(٥) سورة الذاريات الاية : ١٧ - ١٨

أما اثر الالتزام فى حياة الجماعه :

فأنها تتجلى واضحة فى حياة الجماعة الاسلامية الاولى بالمدينه المنورة ، فأول ما ظهر من خلال التزامهم بمنهاج الرسول صلى الله عليه وسلم ظهور روح الاخاء بينهم حتى اصبحوا اخوة متحابين فى الله ، وقد ورد فى السيرة النبوية " وقد اخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار "(١) .

" أخى النبى صلى الله عليه وسلم بين عباده وبين ابى مرثد الغنوى "(٢) فأصبحا كأخوى النسب فى المال والميراث والمناصره على الحق والمؤاساة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الارحام كما أخى بين باقى اصحابه من المهاجرين والانصار قبل بدر ، فأخى مثلا بين جعفر بن ابى طالب وهو غائب بالحبشة ، ومعاذ بن جبل ، وأخى بين ابى بكر الصديق وخارجه بن زيد وأخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك من بنى سالم . وأخى بين ابى عبيده بن الجراح وسعد ابن معاذ أخى بنى عبد الاشهل ، وأخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع أخى بن الحارث بن الخزرج ، وقصتهما عند البخارى معروفة فى عرض سعد تنازله لابن عوف عن احدى زوجتيه وشطر ماله . وأخى بين الزبير بن العوام وبين سلمه بن سلامة بن وقش "(٣) .

ولقد كان لهذه المؤاخاة اثرها الكبير فى تاريخ الاسلام بالنسبة لضعف المهاجرين الذين تركوا اموالهم وديارهم بمكة ، وهاجروا ابتغاء مرضاة الله فاكتسبهم المؤاخاة مع الانصار فى المدينه قوة وعزيمه . وبعد موقعة بدر حينما تقوى المهاجرون انزل الله تعالى " واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله "(٤) فنسخت هذه الاية ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة فى الميراث ، ورجع كل انسان الى نسبه ، وورثه ذوو رحمه ، واولو الارحام ، اصحاب القرابه ، فصارت اولوية القرابة النسبية مفضلة على ما هو أهم منها من ولاية الايمان وولاية الهجرة فى عهدها .

واصبح الاقارب اجدر واحق بالتناصر والتعاون من المهاجرين والانصار الاجانب وكذلك

---

(١) السيره النبوية لابن هشام جـ ١ - ٢ ص ٥٠٤

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٣ ص ٥٤٦

(٣) جوامع السيره لابن حزم ص : ٩٦ صحيح البخارى جـ ٥ ص ١٠٩

(٤) سورة الانفال الاية ٧٥

التوارث فى دار الهجره فى عهد وجوب الهجرة وفى كل عهد ، اصبح منسوخا برابطة القرابة ، واعتبر الاقارب اولى بذلك ، قال الحسن البصرى : كان التوارث بالحلف فنسخ بأية المواريث" (١) وهو المقصود بقوله صلى الله علية وسلم فيما يروية مسلم عن جبير بن مطعم " لا حلف فى الاسلام " أى حلف التوارث ، واما المؤاخاة فى الاسلام والمحالفة على طاعة الله والتناصر فى الدين والتعاون على البر والتقوى واقامة الحق فهذا باق لم ينسخ .

ومن هنا انبثق روح الايثار والتعاون الى حد بعيد حيث قدم الانصار جميع المساعدات ماديا ومعنويا الى اخوانهم المهاجرين .

وعن أنس رضى الله عنه انه قال " قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وأخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير المال - فقال سعد : قد علمت الانصار انى من اكثرها مالا ، سأقسم مالى بينى وبينك شطرين ، ولى امرأتان فانظر اعجبهما اليك فأطلقها حتى اذا حلت تزوجتها ، فقال عبد الرحمن : بارك الله فى اهلك . فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئا من سمن واقط .

فلم يلبث الا يسير حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وضر من صفره ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مهيم ؟ قال : تزوجت امرأه من الانصار ، قال ما سقت فيها ؟ (٢) قال : وزن نواة من ذهب - او نواه من ذهب - فقال أولم ولو بشاه " .

وقد مدح الله سبحانه وتعالى الانصار فى قوله " والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون " (٣) .

وقال ابن حجر العسقلانى " بأن هذه الاية نزلت فى الانصار .

وقال سيد قطب " ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الانصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخى ، وبهذه المشاركة الرضية وبهذا التسابق الى الايواء واحتمال الاعباء حتى ليروى انه لم ينزل مهاجر فى دار انصارى الا بقرعة لان عدد الراغبين فى الايواء المتزاحمين عليه اكثر من عدد المهاجرين " (٤) .

وبهذه اللبنات القوية بنيت حياة الامة لتكون امة قوية تملك الكفاءات العالية وفى استطاعتها ان تتحدى القوى العظمى مثل الروم والفرس فى ذلك الوقت .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٦ ص ٨١ وما بعدها تفسير ايات الاحكام للشيخ محمد على السايس ص ١٣ ط ١٩٥٣

(٢) فتح البارى لابن حجر العسقلانى جـ ٧ ص ١١٢

(٣) سورة الحشر الاية ٩

(٤) فى ظلال القران - لسيد قطب م ٦ ص ٣٥٢٦ ط ٨ - ١٣٩٦

ان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم اجمعين قد قدروا هذا الدين ودفعوا من اجله الكثير وضحوا وصبروا واسترخصوا ارواحهم لذلك اعزهم الله فى الدنيا واصبحوا قادة مهتدين مرشدين يسوسون برسالة الحق فحققوا العدل وعموا الخير وبددوا الظلام وسيطر الامن والسعادة على ارجاء المعمورة ، واما الاخره فلهم الثواب من الله ؛

قال ابو حسن الندوى " فكانوا ائمة يصلون بالناس ، وقضاة يفصلون قضاياهم ، ويحكمون بينهم بالعدل والعلم ، وامانة على اموال المسلمين وخزنتهم ، وقوادا يقودون الجيوش — ويحسنون تدبير الحروب وامراء يباشرون ادارة البلاد ويشرفون على امور المملكه ، ويقيمون حدود الله ، وكان الواحد منهم فى ان واحد تقيا زاهدا ، وبطلا مجاهدا ، وقاضيا فهما وفقيها مجتهدا ، واميرا حازما ، وسياسيا محنكا ، فكان الدين والسياسة يتمثلان فى شخص واحد وهو شخص الخليفه وأمير المؤمنين ، حوله جماعة ممن تخرجوا - ان صح التعبير - فى هذه المدرسة النبوية .

افرغوا فى قالب واحد يحملون روحا واحده ، وتلقوا تربية واحدة ، يستشيرهم الخليفة ويستعين بهم ، فلا يقطع امرا ذا بال حتى يشهدوه فسرت روحهم فى المدينه ، ونظام الحكم ، وحياة الناس واجتماعهم ، واخلاقهم وانعكست ميولهم ورغباتهم فى المدينه .

وظهرت خصائصهم فيها ، فلا عداء بين الروح والمادة ولا صراع بين الدين والسياسه ولا فصل بين الدين والدنيا ، ولا تجاذب بين المصالح والمبادئ ولا تزاحم بين الاعراض - والاخلاق ولا تناصر بين الطبقات ولا تنافس فى الشهوات " (١) .

هذا وان دل على شئ فانه يدل على شدة الالتزام والتمسك بالقران وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٤٤

المبحث الثانـــى
اثر الالتزام فى انتشار الدعوة الاسلامية

وقد تقدم القول عن أثر الالتزام بالكتاب والسنة فى الفرد والجماعة حتى اصبحوا رجالا يستطيعوا نشر الوية الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ، واصبحوا قدوة يسير على نهجهم الناس من بعدهم لاعتصامهم بهذا الدين .

وفى هذا المبحث تناولت اثر الالتزام فى انتشار الدعوه واقبال الناس عليها . واذا تأملنـــا فى اسباب انتشار هذه الدعوة واقبال الناس اليها نجد هناك عدة عوامل تكمن من خلال هذه العملية .

الاولى : ترجع الى طبيعة هذا الدين نفسه .

الثانية : ترجع الى الالتزام الشديد من المسلمين بما يدعون اليه .

وعندما نظرنا الى هذا الدين الذى تمسك به المسلمون وجدناه انه دين الفطره، ديـــن سهل يقبله العقل والمنطق ويتصل بقلوب الناس ومشاعرهم ومصالحهم ، يدعو الى الطمانينـــة والسلام فينفذ الى العقول ويصل الى الافئدة ، يدعو الى التمسك بالفضائل والبعد عـــــن الرذائل ويأمر بالخير وينهى عن الشر .

انتشرت هذه الدعوه بسرعة فائقة لانه دين يحق الحق ويبطل الباطل ويصلح لكل زمان ومكان ، ويناسب كل بيئة وانسان ، يحدد الحقوق ويسوى بين جميع الطبقات فى احـــترام النفس والدين والعرض والمال ، لانه دين اليسر والتسامح ، دين الايثار والانسانية ديـــن الاخاء والحرية دين المساواة بين الفقراء والاغنياء ، دين العطف والرحمة ، دين العداله ودين يسهل فهمه ويطمئن اليه كل انسان ويدعو الى الدنيا والاخرة .

ويرجع انتشار الدعوه بسرعة فائقة الى ما اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم من ايمان بما يدعو اليه وثقة تامة بتأييد الله واجتهاد فى نشر الدعوة وثبات عظيم لا نهاية له علـــــى ما كان يلاقيه من اذى أقرب الناس اليه ، وثابر على ذلك حتى اخذتهم العزة بالاثم واجمعوا امرهم بينهم على قتله ليستريحوا منه لولا ما كان من حماية الله له ، وقد استمر فى الدعـــوه الى الحق حتى انتصر عليهم جميعا بالايمان الراسخ والخلق الكامل والامانه المطلقـــــة والاخلاص والصبر .

بهذه الاخلاق الفاضله نجح الرسول صلوات الله عليه وسلامه فى نشر دين الله واعلان احكامة ووحد العرب ، بعد ان كانوا شيعا واحزابا ، وتحققت الوحدة العربية واجتمعت الكلمه الاسلامية فى الجزيره العربية وانتشرت الوحدة الدينية بين العرب بطريق لم يعهد لها نظير من ما ضيهم .

اننا نرى ان هذه الدعوة قد انتشرت بمبادئها المثالية فى افريقيا واسيا ، انتشرت بمبادئها السامية لا بقوة السيف ، انتشرت بمبادئها التى تلائم الطبائع والنفوس البشرية وتتفق مع الانسانية ، فقد قضت على الرذائل وابطلت عبادة العباد بجميع اشكالها ، ونشرت بين العالم كلة العزة والايثار والكرم والاحسان والعفو عند المقدرة والصدقة على الفقراء المسلكين .

وبهذه المبادئ العالية انتشرت دعوة الاسلام ، ودخل الناس فى دين الله افواجا واتم الله نعمته على الرسول الكامل ونصر نصرا عزيزا " (١) .

ولم يكن غريبا اذا كان الاسلام منتشرا بين حين واخر مهما حاول اعداء الله لا طفاء شعاعه لانه يجمل بين جنباته القيم العالية التى تجلب الناس الى الالتزام بها ، فشدة الاعتصام بالكتاب والسنة عنصر هام فى نجاح هذه الدعوة الى الله على الرغم من كثرة العقبات

واشارت الدلاله الى ذلك عندما دخل المسلمون حمص واخذوا الجزية من اهل الكتاب - الذين لم يريدوا ان يدخلوا الاسلام ، ثم عرف المسلمون ان الروم اعدوا جيشا كبيرا لمهاجمة المسلمين فادرك المسلمون انهم قد لا يقوون على الدفاع عن اهل حمص وقد يضطرون للانسحاب فأعادوا الى اهل حمص ما اخذوه منهم وقالوا لهم شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على امركم . فقال اهل حمص " ان ولا يتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهضوا بذلك فسقطت الجزية عنهم (٢) .
وانتشر الاسلام فيما بعد بين اهلهم وقويت شوكتهم .

وكذلك موقف ربعى بن عامر عندما دخل على قائد الفرس دليل على شدة التزامة بالقران وسنة نبيه ، وهذا يظهر لما اجاب على سؤال وجه له " ما جاءكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا

---

(١) عظمة الاسلام لمحمد عطية الابرشى ص ٢٤٤

(٢) الاسلام فى قفص الاتهام لشوقى ابو خليل ص ١٣٥

عنه ، ومن ابى قاتلناه ابدا حتى نفضى الى موعود الله . قالوا وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال نعم : كم احب اليكم ؟ يوما او يومين قال ، لا ، بل حتى نكاتب اهل راينا ورؤساء قومنا ، فقال ، ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نؤخر الاعداء عند اللقاء اكثر من ثلاث ، فانظر فى امرك وامرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل ، فقال اسيدهم انت ؟ قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير ادناهم على اعلاهم فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رايتم قط اعز وارجح من كلام هذا الرجل (١) .

وهذه الشجاعة والجراه امام الاعداء ليست الا نتيجة شدة الاعتصام بالكتاب والسنة حتى يتمكن الاسلام من دخول تلك البلاد المفتوحة واستقرامره .

ولننظر الى هذه الامة ، التى صنعت وغيرت وجه العالم على الرغم من قلة عددهم وعدتهم لمجابهة الطغاه والمستبدين .

وهذا يتجلى عندما عزم المسلمون فتح حصن بابليون .

وذكر الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه (٢) ثبتت قدم عمرو فى أم دنين وعين شمس التى صارت مركزا لقيادته الحربية ، ولم يبق امامه سوى حصن بابليون ، فسار اليه وحاصروه سنة ٢٠ هـ ، وكان ذلك وقت فيضان النيل ، وطال امد الحصار الى سبعة أشهر لمناعة اسوار المدينه وقلة معدات الحصار عند العرب .

وبعد شهور رأى المقوقس الجد من العرب وصبرهم على القتال ، وانهم سوف يقتحمون الحصن بصبرهم وشجاعتهم ، فخرج هو ونفر من قومه ولحقوا بجزيرة الروضة ، وارسل الى عمرو يطلب منه الصلح وقال له فى كتاب ارسل اليه : قد جئتم ارضا وطال مقامكم فيها وانتم عصبة يسيره ، وأخشى ان تغشاكم الروم فتندموا - فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم ، فلعله ان يأتى الامر بيننا على ما نحب وتحبون ، ولما أتت رسل المقوقس الى عمرو ابقاهم عنده يومين حتى خاف عليهم المقوقس ، ثم قال لهم عمرو : ليس بيننا وبينكم الا احدى خصال ثلاث .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع ص ٣٩ - ٤٠

(٢) تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن جـ ٣ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ط ٧ سنة ١٩٦٤ .

١ - اما دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا .

٢ - وان أبيتم فالجزية عن يد وانتم صاغرون .

٣ - واما القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو احكم الحاكمين .

ولما عاد الرسل الى المقوقس ، سر بلقائهم وسألهم عن حالى المسلمين فأجابوا : راينا قوما الموت احب اليهم من الحياة ، والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لاحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب واميرهم كواحد منهم ، ما يعرف كبيرهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها احد ، يغسلون اطرافهم ويخشعون فى صلاتهم "

وقد أرهب المقوقس هذا الحديث ، فأشار على قومه بطلب الصلح ، وارسل الى المسلمون رسلا للمفاوضة فى الصلح ، فبعث عمرو عشرة رجال فيهم عبادة بن الصامت ، وأمره ان يكون هو المتكلم ، ودارت المحادثات بين الطرفين ، وسلك المقوقس طريق الارهاب المصوغ فى قلب النصيحة ، والح على عبادة واصحابه ان يجيبوا الى خصله غير هذه الثلاث ، فرفع عبادة يده وقال : لا ورب هذه السماء ، ورب هذه الارض ، ورب كل شئ ، ما لكم عندنا الا خصله غيرها فاختاروا لانفسكم " فقال المقوقس لقومه " اطيعونى واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله مالكم بهم من طاقة ، وان لم تجيبوا اليهم طائعين ، لنجيبهم الى ما هو اعظم من هذه كرها "(١) .

فدخل المسلمون ارض مصر وسيطروا عليها وجعلوها بعد منارا للعلم والمعرفة ينير نورها الى الافاق .

ويرجع النجاح السريع الذى احرزه المسلمون فى مصر لالتزامهم بمبادئ دينهم من السماحه والعداله الى اهلها . هذا كما قال سيرتوماس ارنولد "(٢) يرجع النجاح السريع الذى احرزه غزاة العرب قبل كل شئ الى ما لقوه من ترحيب الاهالى المسيحين الذين كرهوا الحكم البزنطى ، لما عرف به من الاداره الظالمه وما اضمروه من حقد مرير من علماء اللاهوت ، فأن اليعاقبه الذين كانوا يكونون السواد الاعظم من السكان المسيحين عوملوا معاملة سيئة من اتباع المذهب الارثوزكس التابعين للبلاط الذين القوا فى قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما اعقابهم حتى اليوم .

---

(١) كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٦٥ - ٦٦

(٢) الدعوة الى الاسلام للمؤلف ص : ٦٢

ولقد انتشر الاسلام من بلاد الى اخرى فى غضون فترة وجيزة من الزمان ، وكان من بين هذه البلدان التى بلغتها الدعوة الاسلامية هى سمرقند التى وقفت سدا منيعا امام الاسلام فى بداية عهدها ، ولكن سماحة الاسلام والتزام المسلمين بمبادئه السامية دفعت اهل تلك البلاد ان يعتنقوا الاسلام عن بكرة أبيهم .

* روى ان المسلمين كانوا قد فتحوا مدينة سمرقند التى اشتهرت فى الاسلام بعد ذلك بأنها من مواطن الثقافه والحضارة الاسلامية فتحها سعيد بن عثمان فى عهد الامويين ، ثم فتحها عنوه بعد ذلك قتيبه بن مسلم فى عهد الوليد بن الملك المتوفى سنة ٩٦ هـ .

وهناك روايتان فى سبب غزوة قتيبة لها :

الاولى : ان اهل سمرقند غدروا بالمسلمين واجلوهم عنها فرد قتيبة على صنعهم هذا بالتوجه اليهم بجيش كبير فتح به بلدهم وترك بها حامية كبيرة منه حتى لا يعاودوا الغدر بالمسلمين .

والرواية الثانية : تقول بأن سعيد بن عثمان فتحها صلحا على مال يؤدونه للخليفة ، مقابل حمايتهم ، فلما مات وتولى بعده قتيبة بن مسلم قيادة الجيوش الفاتحه لارض خراسان استقل هذا المال الذى يدفعونه وفتح بلادهم عنوة دون ان يخطرهم بنقض العهد السابق وايذائهم بالحرب .

هاتان الروايتان رواهما ابو عبيده معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ . ولم يرجح واحدة منهما على الاخرى ، الا ان منطق الحوادث يؤكد رجحان الثانية على الاولى ومعنى ذلك ان قتيبة قد فتح سمرقند غدرا وهذا امر تأباه تعاليم الاسلام الكريم فى شأن الحرب والمعاهدات .

قبل اهل سمرقند على مضض ، ولما آلت الخلافه الى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ ، وبلغ اهل سمرقند عنه ما ملأ اطراف الدولة وجوانبها من الحديث من عدله ونصرته للحق ووفائه وبغضه للظلم ، انابوا عنهم وفدا يلقى الخليفة يشكون له ما كانوا من قتيبة معهم .

ولقى الخليفه وفدهم ، فعرضوا الامر عليه ، وقالوا فيما قالوه ان قتيبة غدر بنا ظلما واخذ بلادنا ، والامر اليك لترفع عنا ما نزل بنا على يديه ، وكتب الخليفة الى سليمان بن ابى مسرح عامله على سمرقند كتابا يقول فيه ، ان اهل سمرقند شكونا ظلما اصابهم من قتيبة عليهم ، فاذا اتاك كتابى هذا فاجلس لهم قاضيا يقضى بالحق فى هذه الظلامة ، وعاد

وفد هم بكتاب الخليفة الى عامله فأحال قضيتهم الى القاضى جميح ابن حافر قاضى سمرقند فاستمع الى ظلامتهم واستدعى شهودهم عليها ، ثم استدعى شهودا من الجيش الذى حضر الموقعة مع قتيبة فشهدوا بالحق ، شهدوا ان قتيبة لم ينبذ اليهم عهدهم بل فاجأهم بفتح البلاد عنوة .

وعندما وضح هذا امام القاضى اصدر الحكم فى هذه القضية صريحا ناطقا بعدالة الاسلام وسماحته ، قال القاضى على الجيش الاسلامى الذى فتح سمرقند بقيادة قتيبة ان يتأهب للخروج منها فورا وكذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوا لعد الفتح واسرع الوالى يخطر الخليفة بالحكم ويطلب مشورته ، فجاء الرد بتنفيذ حكم القاضى بحذافيره وعندئذ اصدر امره الى الجيش بالتأهب للرحيل ، والى المسلمين المدنيين بمغادره سمرقند وبينما يجرى هذا على قدم وساق والجيوش الفاتحة والمسلمون يستعدون للرحيل واذا بمفاجاه تجد لم تكن فى الحسبان .

وقد جاء وفد يمثل اهل سمرقند الى الوالى وابلغوه انهم تشاوروا فيما بينهم بعد هذا الحكم الذى ما دار بخلدهم لحظة واحدة ان تعاليم الاسلام لا تضيق بمثله وانهم ما كانوا يتوقعون ان هناك قاضيا يجرؤ على مطالبة الجيش الفاتح بجلاء بلد فتحها ، وانهم ما كانوا يتصورون ان القاضى سيهمل فى هذه القضية عصبية لقومه ولا يعيرها اعتبارا ولا وزنا .
وانهم استبعدوا ان يأمر الخليفة بتنفيذ الحكم كما صدر مع انصياع الجميع له ، دون ان يكون هناك اعتبارا لما يترتب على تنفيذه من عنت لمن صدر فى شأنهم ، امام هذا ، وامام حسن المعامله التى وجدوها من اخوانهم المسلمين المقيمين بالبلد حال اقامتهم بها لا يسعهم الا ان يعلنوا تنازلهم عن حقهم والمطالبة ببقاء الحال على ما هو عليه لانهم لن يخشوا بعد اليوم ضرا ينالهم .

وكانت هذه القضية سببا فى اسلام كثير من اهل سمرقند وانطوائهم تحت راية الاسلام والاخلاص لتعاليمه والعمل على نشرها والاستمساك بما امرت به والاعتصام بحبل الله المتين ، حتى غدت سمرقند بعد مركزا من المراكز الاسلامية الرموقة ، يأتيها الدانى والقاصى للتزود بزاد المعرفه من علمائها .

هذه القضية خالده فى تاريخ الاسلام بلاجدال ونوع مزيد من قضايا الظلم بلا خلاف

وانها لصفحة مجيدة يفخر بها كل مسلم في كل جيل وعصره (١) .

وانها لطاعة للغاية والخضوع الى حكم الله مهما كانت الامور ، وحكم الله لابد من تنفيذه ولا يمكن ان يتساهل فيه ، وانها دلالة على قوة الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه .

وعلى هذه المبادئ السامية مع الاعتصام القوى من المسلمين اصبح الاسلام ينتشر في كل مكان وزمان .

---

(١) الاسلام في قفص الاتهام لشوقي ابو خليل ص ١٥٩ .

المبحث الثالث
" اثر الالتزام فى تقدم المسلمين وظهور الحركه الاصلاحيه"

وقد ذكرت فيما سبق مكانة الامة الاسلامية التى اخذت تزدهر يوما بعد يوم حتى اصبحت أمة قوية لا يستهان بها ، وبدات راية الاسلام ترفرف على آفاقها الواسعة من الصين شرقا وجنوب فرنسا غربا عندما اجتازها القائد المسلم عبد الرحمن الغافقى ، ولولا اطماع جيوش - المسلمين فى الغنيمة لما انهزموا فى تلك المعركه الفاصلة بين الاسلام والكفر .

" تقدم المسلمين "

قد استولى المسلمون على الاندلس قرونا من الزمان ملئت سماؤها بصوت التكبير وعمت البلاد العداله والتسامح التى قدمها المسلمون الى الاخرين . ولا يخفى على احد بأن الاسلام قد أعطى شيئا ثمينا منحة لأهل الاندلس ومن جاورها . ولم يعطها غيره من قبل مجئ الامة الاسلامية . وكان من نصيبها أن حولت هذه البقعه من ظلام حالك الى منابر ينير منها شعاع النور والمعرفة ، وفى هذه الفتره خفت الجهاله والفوضى وانتكست راية الجور والظلم التى أحاطت بتلك البقاع وبدات تعم البلاد بالسلام والرحمة والمؤاخاه بين افرادها .

وذكر بعض علماء التاريخ حالة أسبانيا قبل فتح الاسلام وبعده ، " اسبانيا النصرانية " قبل ان يقدم عليها المسلمون كانت بلادا قليلة الرخاء عديمة الثقافة ، جاء اليها المسلمون فأقاموا فيها الحضارة الاسلامية ، وازدهرت الحضاره فى البلاد ، وقام المسلمون بأحياء الارض الموات واعمار المدن الخربة واقامة المبانى الضخمة ، كما انهم اقاموا علاقات تجارية مع البلاد المجاوره فنشطت الناحية التجارية ثم تفرغ المسلمون بعد ذلك الى الاقبال بنهم شديد على العلوم المختلفه وقاموا بترجمة العلوم من اللغه اليونانية واللاتينية الى اللغه العربية ، فقامت بالبلاد حضارة مزدهره .

ونشير هنا الى ان اسبانيا كانت مشعل الحضارة فى اوربا المظلمة . ويذكر المؤرخون الغربيون بينما كانت باريس عاصمة النور عقب غروب الشمس تلفها ظلام كثيف وتعيش فى شوارعها وأزقتها الكلاب الضالة ولا يجرؤ انسان أن يخرج من بيته .

وبينما كان الاوربيون يمر عليهم العام والعامين بدون أن يمس اجسامهم المياه ، فى ذلك الحين كانت المدن الاسلامية فى اسبانيا مثل طليطله وقرطبة وغرناطة وأسبيلية وغيرها

تضاء طرقاتها ليلا بالمصابيح ، وكانت بدور الكتب والنساخين وطلاب العلم يفدون اليها من كل مكان حتى من اوربا النصرانية وكان بها الاف من دور العلم والجامعات المختلفة وهذا نوع من الموازنه بين حال الاندلس بعد ان اصبحت مسلمه وبين حال البلاد المجاوره (١) .

انتقلت الحضاره الاسلامية الى اوربا ، وايقظتها من سباتها سواء فى ذلك الحضارة الفكريه أو الحضاره العمرانية ، وثم نقل هذه الحضارة بطريق الطلاب الاوربيين الذين التحقوا بالجامعات الاسلامية فى قرطبة واشبلية ومالطة وغرناطه ثم عادوا الى بلادهم يحملون أفانيين من العلم والمعرفه والحكمة أو عن طريق (المدجنين) وهم المسلمون الذين كانوا يعيشون فى كنف المماليك المسيحية قبل سقوط غرناطة أو عن طريق المستعمرين وهم المسيحيون الذين كانوا يعيشون فى كنف الحكم الإسلامى وظلوا هم واولادهم مصابيح هدى لاوروبا بعد انتهاء ملك المسلمين (٢) .

وهنا برز دور علماء المسلمين مثل ابن حزم وغيره الذين بذلوا طوال الجهود مخلصين لله حتى يلتزم الناس بتعاليم الاسلام ، وغيروا الارض غير الارض التى كانوا عليها ، ونعمت البلاد بالازدهار والحضارة على ايدى الرجال المخلصين الملتزمين وما كان ليتم ذلك لولا قيام اولئك الملتزمين بتعاليم الاسلام .

وما حدث فى الاندلس وغيرها من العلم الاسلامى دليل على تمسك المسلمين والتزامهم الشديد وقوة ايمانهم وعزائمهم فى مواصلة الدعوة الى الله سبحانه .

وظهور دولة المرابطين فى المغرب وجزء من الجزائر والاندلس دليل اخر على ازدهار الامة الاسلامية وتقدمها ، فقد كان المرابطون فى غاية التمسك والاعتصام بتعاليم الاسلام حتى استطاعوا ان يمسكوا زمام السلطة فترة من الزمان .

قال صاحب تاريخ العرب والاسلام " كان عدد من القبائل البربرية من صنهاجه التى يقر ابن خلدون انها نزحت فى الاصل من جزيرة العرب الى المغرب ، تعرف بأسم الملثمين ، وذلك اما لانهم كانوا يتخذون فى اعراسهم نوعا خاصا من الحجاب أو لان نساءهم كن يقاتلن معهم محجبات ، وكان من بين قبائل الملثمين قبيلة عرفت باللمتيين نسبة الى ثوبهم البسيط اللمت - وكانت بعيدة عن الاتصال بالحضاره العربية الاسلامية لبعد مضاربها فى الصحراء وعزلتها عن بقية القبائل التى دخلت فى الاسلام وشاركت فى الجهاد ، وفى اواسط القرن -

---

(١) محاضره فى التاريخ الاسلامى والحضاره للطلاب السنه الثالثه فى المعهد العالى للدعوه ١٤٠٢ هـ .

(٢) التاريخ الاسلامى والحضاره الاسلامية د / احمد شلبى جـ ٤ ص ط : ٥ ١٩٧٨ .

الحادى عشر الميلادى (القرن الخامس) الهجرى ظهر يحى بن ابراهيم اللمتونى كعالم ورع . تحول فى المغرب والمشرق العربى ، واطلع على العلوم الاسلامية والحضاره العربية - فنذر نفسه على ان يصل قبيلته بهذه الحضاره ، وفتش على مسلم كفء ليحمل مشعل النور الى قلب الصحراء حيث يقيم اللمتونيون . ووقع اختياره اثناء اقامته فى القيروان على الفقيه عبد الله بن ياسين ، فذهب معه الى قبائله وجذبهم اليه بحسن حديثه وببساطة الاسلام التى شرحها لهم ، فأنشرح قلبهم لدعوته ، ووضع زعيم الملثمين نفسه فى خدمة نشر الاسلام وقيادة المجاهدين فى سبيل الاسلام واطلق عبد الله بن ياسين على اتباع الحركة الجديدة اسم (المرابطين) اى الذين يتعاهدون على ان يخصصوا انفسهم لخدمة الاسلام .

وحمل المرابطون لواء الجهاد ، وتحول جميع رجالهم الى محاربين مؤمنين وبنوا مدينة مراكش سنة ٤٥٤ هـ - ١٠٦٢ م - وظهر منهم يوسف بن تاشفين الذى يعد المؤسس الحقيقى للدولة "(١) .

وقال ابن الاثير فى وصف امير الدوله المرابطين " يوسف بن تاشفين كان رجلا دينا خيرا حازما داهية مجربا ، وانه احسن السيرة فى الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة "(٢) .

" وكان امير المسلمين وطائفته على نهج السنة واتباع الشريعة ، فاستغاث به اهل المغرب فسار اليها وافتتحها حصنا حصنا وبلدا بلدا فأحبه الرعايا وصلحت احوالهم وملك البلاد المتصله بالحجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها "(٣) .

وهذا النجاح يرجع الى جهودهم المتواصل بالتزامهم بالدين الحنيف فى حكم رعاياهم لذا استطاعوا اقامة هذه الدولة على اسس متينه حتى رقت شأنهم وازدهرت حياتهم .

---

(١) تاريخ العرب والاسلام - انور الرفاعى ص ٣٩٨ دار الفكر ١٩٧١ .
(٢) الكامل فى التاريخ لابن الاثير م ٩ ص ٦٢١ دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ .
(٣) تاريخ الاسلام السياسى د / حسن ابراهيم حسن جـ٤ ص ١١٩ نقلا عن الكامل لابن الاثير جـ ٩ ص ٢٣٢

ظهـــور الحركات الا صلاحيـــة

علاوة على هذا النجاح فان نتيجة الالتزام ظهرت فى كثير من الوان الحركة الاصلاحية فـى البلاد الاسلامية ، ففى الجزيرة العربية ظهرت الحركة الاصلاحية التى قام بها الشيـــخ محمد بن عبد الوهاب ، وفى شمال افريقا ظهرت الحركة السنوسية التى قام بها محمـــد على السنوسى ، ثم فى مطلع هذا القرن ظهرت الحركة الاصلاحية فى مصر قام بهـا الشيـخ حسن البنا .

كل هذه الحركات وان كانت تظهر على فترات مختلفة من الزمان لكنها كانت تهدف الى اصلاح المجتمع الاسلامى واعادة مجد الاسلام من جديد .

أ ـ الحركة الاصلاحية فى الجزيره العربية :

ظهرت الحركة الاصلاحية فى الجزيرة العربية كرد فعل عن تخلى بعض افراد الامة الاسلامية من تعاليم الاسلام الحنيف ، وسلكوا طريقا غير طريقة مما يؤدى الى ظهور نوع من الفوضـــى والاضطرابات والى تسلط الجهل والخرافات .

وذكر مؤلف " حاضر العالم الاسلامى " تصويرا لحال الجزيرة العربية فى الماضى قبـــل ظهور الحركة الاصلاحية التى قام بها الشيخ محمد عبد الوهاب .

يقول " واما الدين فقد غشيته غاشية سوداء . فألبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من ارباب الصلوات ، وكثر عديـد الادعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان الى مكان يحملون فى اعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم فى الحج الـى قبور الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائـــل القران فصار يشرب الخمر والافيون فى كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمـــات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنوره ما نال غيرهما من سائـــر مدن الاسلام ، فصار الحج المقدس الذى فرضة النبى صلى الله عليه وسلم على من استطاعة ضربا من المستهزات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطا بعيـد القرار فلو عاد صاحب الرساله الى الارض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الاســـلام لغضب واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يلعـن المرتدون وعبده الاوثان .

وبينما العالم الاسلامى مستغرق فى هجعته ومدلج فى ظلمته ، اذا بصوت يدوى من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الاسلام ، يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الاصلاح ، والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم .

فكان الصارخ هذا الصوت انما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، — الذى أشعل نار الوهابية ، فاشتعلت واتقدت ، واندلعت السنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامى .

ثم أخذ هذا الداعى يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامى القديم والعز التليد ، تبدت تباشير صبح الاصلاح ، ثم بدات اليقظة الكبرى فى عالم الاسلام "(١) اهـ

المبادئ الاساسية للدعوة الاصلاحية :

والمبادئ الاساسية لدعوة محمد بن عبد الوهاب هى تنقية معنى التوحيد من شوائب الشرك ظاهره وخفية ، واخلاص الدين لله وعدم الالتجاء الى غير الله ، وعدم الغلو فى تمجيد الرسول بما يخرجه عن حدود الطبيعة البشرية ، وتحديد معنى الرسالة التى كلف بأبلاغها ومصادر العقيدة ، والرجوع الى مذهب السلف فى فهم الدين ، وتفسير ايات القران ، واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتكره الوهابية التعقيدات التى ادخلها المتكلمون والفلاسفة والصوفية ، ولا مانع من الاجتهاد ، كما يرون ضرورة القيام بواجب الجهاد .

وهذه الحركة كانت نهضة اخلاقية شاملة ، ووثبة روحية جريئة ودعوة الى دين الحق والاصلاح .

فقد ايقظت العقول الراقدة ، وحركت المشاعر الخامدة ، ودعت الى اعادة النظر فى الدين ، لتصفية العقيدة ، وتطهير العقول من الخرافات والاوهام .

فقد احتوت على مبدأين ، كان لهما اكبر الاثر فى تطور العالم الاسلامى وتقدمه وهما : الدعوة الى الرجوع الى مذهب السلف زمع الاعتماد على الكتاب والسنة وتقرير مبدأ الاجتهاد .

---

(١) حاضر العالم الاسلامى ، لوثروب ستودارد جـ ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠

فكان هذان المبدان اساسا لنهضة فلسفية روحية (١) .

" وملخص ما دعا اليه ابن عبد الوهاب هو العودة الى الدين الصحيح ونبذ البدع والخرافات وكل ما هو دخيل على الاسلام والفكر الاسلامى ، والاستقاء من معين الاسلام الصافى : القران والسنة وعلم السلف الصالح ، وكانت حركته هذه بداية اليقظة فى العالم الاسلامى تدعو للعمل على سيادة مبادئ الاسلام الصحيحة والقضاء على الفساد وتأسيس دولة اسلامية وحكومة صالحه تحكم بمبادئ الاسلام وتمثل احكامه وتقيم حدوده (٢) " .

وكان محمد بن عبد الوهاب يدعو الناس الى هذه الاسس القوية والقواعد الثابته ، وساعد على نجاح دعوته امير الدرعية محمد بن مسعود فى ذلك الوقت بعد ان اتفقا على نصرة دعوته ، حتى قويت شوكتها واتسعت رقعتها واقبل الناس عليها .

وذكر مؤلف حاضر العالم الاسلامى قائلا " بعد ان قضى محمد بن عبد الوهاب سنين عديدة راحلا من بلاد الى بلاد فى شبة الجزيرة مبشرا بالدعوة موقظا النفوس حتى استطاع بعد جهاد طويل ان يجعل محمد بن مسعود ، وهو اكبر امراء نجد واعلى زعمائها كعبا وشأنا يقبل الدعوة ويدخل فيها ، فاكتسب ابن عبد الوهاب بذلك مكانة ادبية عالية ومنزله اجتماعية زمنية وقوة حربية لا يستهان بها ، فاستفاد ذلك استفادة جليله قد مكنته من بلوغ غايته وادراك غرضة فتكونت عن التوالى وحدة دينية سياسية من جميع الصحراء العربية شبيهه بتلك الوحدة التى انشأها صاحب الرسالة ، وفى الواقع فأن المنهج الذى نهجه ابن عبد الوهاب يشبة شبيها كبيرا وذلك الذى نهجه الخلفاء الراشدون كأبى بكر وعمر (٣) " .

وبعد جهاد طويل يناهز خمسين سنة قضى محمد عبد الوهاب فى دعوته بكل بسالة وايمان والالتزام بالكتاب والسنه انتشرت دعوة الشيخ فى انحاء نجد ورجع اهلها الى نقاء الدين وسلامة العقيدة تحت راية واحدة ورجعوا الى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والبدع كما رجعوا الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله علية وسلم ، بعد استيلاء الدعوه السعودية على مكه المكرمه سنة ١٢١٨ هـ . انتشرت هذه الدعوة فى جزيرة العرب كلها .

---

(١) مجلة الارشاد الكويتية العدد السادس شهر رجب ١٣٧٣ هـ عنوان الحركه الوهابية ، محمد ضياء الدين

(٢) معالم الثقافة الاسلامية د / عبد الكريم عثمان ص ١١٤ ص : ٥ سنة ١٣٩٨ مؤسسة انوار للطباعة

(٣) حاضر العالم الاسلامى لوثروب ستودارد ص ٢٦١

انتشرت دعوة الشيخ فى خارج نجد من اجل استيلاء الدوله السعودية على مكه سنة ١٢١٨ هـ واصبح حجاج البلاد الاسلامية يفدون الى مكه المكرمه ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة ، ويستمعون خطبهم ومواعظهم وارشاداتهم السديدة وتوجيهاتهم القيمة ، كما شاهدوا سيرة الدولة السعودية اذ ذاك ، وما هى عليه من الاعتصام بالكتاب والسنة ، ونشر الامن والعدل والانصاف .

فتأثر بعض الحجاج بدعوة الشيخ ، فأخذ ينشر فى بلاده التوحيد ، ويحارب الخرافات الشائعات فى بلاده ، كما قام ضد القبوريين والداعين الى تقديس القبور وبناء القباب عليها

فانتقلت هذه المبادئ الاصلاحية الى السودان فى افريقيا ، وسومطره فى اسيا والهند كما انتشر فى العراق والشام ومصر والجزائر وجاوه وعمان وفارس .

وكان هدف رعاتها فى كل مكان تحل به ، هو محاربة الفساد ، والقضاء على البدع والخرافات ، وتصحيح العقيدة الدينية (١) .

والان وقبل خمسين سنة ظهرت على اثر هذه الدعوة الحكومه الغنية المملكه العربية السعودية تحمل لواءها وتدافع عن مبادئها الحنفية ، وتبذل كل غال ورخيص لاجل هذه الدعوه واصبحت لها كيانها العالى ، ولولا التزامهم وتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لما انتصرت هذه الدعوه الى يومنا هذا (٢) .

الدعوه السنوسية فى افريقا (٣)

ومن الحركات الاسلامية التى اقامت على اثر الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الحركة السنوسية فى شمال افريقيا ، وعلى وجه التحديد فى ليبيا حاليا .
ومن هنا تحركت قافلة الدعوة الاسلامية منتشرة فى قلب افريقيا وقبل ابناؤها على هذه الدعوه وبداوا يكافحون امام الاخرين حتى تمكنوا من اسلام اكبر عدد من سكان هذه القارة .

فالحركه السنوسية هى اولى الحركات التى انبعثت من دعوة التوحيد وهى حركة دعوة وطريقة ، وقد صيغت على نحو جامع محرر لمفهوم الاسلام المتكامل بين الفكر والعقيدة

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ، للشيخ احمد بن محمد ال طامى ص : ٧٧

(٢) اعلن قيام المملكه العربية السعودية فى ٢٠ من جمادى ١٣٥١ فى جزيرة العرب . انظر كتاب الامام محمد بن عبد الوهاب عبد الحليم جنديه ص ١٨٣

(٣) هى منسوبه الى محمد بن على السنوسي مؤسس هذه الحركه ولد فى محل بالقرب من مستغانم الجزائر حوالى سنة ١٨٠٠ فى بيت عريق فى المجد الاسلامى والشرف العربى ـ حاضر العالم الاسلامى ـ لوثروب ستودارد جـ ١ ص ٢٩٥

فهى ذات صلة مع مفاهيم التوحيد وهى فى نفس الوقت تشكيل اجتماعى يتربوى على نمط الزهد ودعوات والقوه والجهاد متحررا من الاخطاء والانحرافات التى وقع فيها بعض الناس .

واذا كانت دعوة التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب قد انبعثمن تخلف الدولة العثمانية وتحولها عن المفهوم الصحيح للاسلام وهى قاعدته ، فأن دعوة محمد بن على السنوسى كانت ردا الفعل للتحدى الضخم الذى واجه العالم الاسلامى واحتلال الجزائر فى معركة غير متكافئة ظلت تقاوم ستة عشر عاما ثم سقطت بين براثن الاستعمار الفرنسى (١) .

وقد تميزت حركة السنوسية بأنها قد نهجت نهجا جديدا فى اسلوب مكافحة الاوضاع عند المسلمين والدفاع امام زحف الاستعمار الاوربى ومواجهة اصحاب الاديان الاخرى . " وقد بدأ عمله الجاد عام ١٨٤٢ م فى زاويته الاولى البيضاء بالجبل الاخضر حتى توفى سنة ١٨٥٦م ، ومن خلال سبعة عشر عاما استطاع ان يحقق الكثير وان يرسى اساس نظام تربوى مطبق فعلا لبناء الشخصية الاسلامية من خلال الزاوية السنوسية "(٢) .

واستطاعت السنوسية ان تقوم بحركة فريدة فى المجتمع الاسلامى المعاصر اذ جمعت بين الايمان والعمل ، بين الفكر والسلوك عن طريق نظام الزاويا التى تعيش فيها الجماعات المؤمنه ، الا ان الفرد فى الزاوية لم يكن عاطلا عن العمل بل كان يعمل فى احدى الوحدات الجماعية المفيدة كالزراعة والتجارة ، وكانت الزاوية تكفى نفسها ، وقد استطاعت السنوسية بأيجابيتها ونظامها الفريد لا ان تعيد الثقة الى المسلمين بثقافتهم وتقاليدهم فحسب بل وان تقف امام الاستعمار الايطالى وقفة لم يعرف لها مثيل فى حركات المقاومه والتحرير (٣) .

ونتيجة التكوين الدقيق والعمل الجاد بالكتاب والسنة من قبل السنوسية انتشرت الدعوة الاسلامية فى اواسط افريقيا ، وانتشرت الزوايا فى كل مكان حتى كثر الملتزمون بالاسلام .

وذكر شكيب ارسلان " فكان السيد المهدى السنوسى - هو المزاحم لجمعيات المبشرين الاوروبية المبثه فى قارة افريقيا كلها ، وعلى يده وبسبب دعايته الحثيثة اهتدى للاسلام

---

(١) انظر العالم الاسلامى ، انور الجندى ص ٢٧٤

(٢) العالم الاسلامى انور الجندى ص ٢٧٥

(٣) معالم الثقافة الاسلامية عبد الكريم عثمان ص ١١٤

ملايين من الزنوج . فلذا اصبحت جمعيات المبشرين بأسرها تشكو حزنها وبثها من نجاح الاسلام فى اواسط افريقية مثل بلاد النيجر والكونجو والكامرون وديارا وبحيرة تشاد ، وتوجه اكثر شكواها الى الطريقة السنوسية هذا من جهة الانتشار التى تمت على ايدى اولئك الرجال الذين استمسكوا بدينهم .

واما من جهة القوة المادية فقد كان السيد المهدى يهدى هدى الصحابه والتابعين لا يقتنع بالعباده دون العمل ويفهم ان احكام القران محتاجة الى السلطان فكان يحث اخوانه وتابعيه دائما على الفروسية والرماية ويبعث فيهم روح الانفه والنشاط .
ويحمل على الطراد والجلاد ويعظم فى اعينهم فضيلة الجهاد ، وقد اثمر غراس وعظة فى مواقع كثيره لا سيما فى الطرابلسية التى اثبتها بها السنوسية ، ان لديهم قوة مادية تصارع قوة الدول الكبرى وتصارع اعظمها جبروتا وكبرا ، وليست الحرب الطرابلسيةوحدها هى التى كانت مظهر بطش السنوسية بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيين فى مملكة كانم ووادى من السودان .(١)

هذه الدعوة لا شك انهما لا تنشر الا بجهود مكثفة من قبل حامليها والمنتسبين اليها فأنها عمل شاق يحتاج الى قدرمن العلم والمعرفة ، ومن اسلوب جميل يناسب الزمان والمكان لا سيما عند مواجهة اصحاب الاديان الاخرى ومقاومة الباطل .

والدعوة السنوسية تملك قدرا من الكفاءات المادية والمعنوية ، فهى لا تعتمد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل والسير، فهى تجمع بين العمل الشرعى بحذافيره والتجرد والزهد الى اقصى درجاته وتنظم بين الظاهر والباطن فى نظام لم يوفق اليه غيرها ، ويظهر ان مؤسس هذه الطريقة السيد محمد بن على السنوسى وولدية السيد المهدى والسيد الشريف وكبار اعوانهم كانوا على اخلاق عظيمة ومدارك سامية تدل عليها اقوالهم وافعالهم ، وروى - سيد احمد الشريف ان عمه المهدى كان يقول له " لا تحقرن احدا لا مسلما ولا نصرانيا ولا يهوديا ولا كافرا لعله يكون فى نفسه عند الله افضل منك ، انت لا تدرى ماذا تكون خاتمة ، ومثل هذه الاداب كانوا يأخذون بها اولادهم واتباعهم فكان هؤلاء الابطال يتجمل التاريخ بذكرهم .(٢)

---

(١) حاضر العالم الاسلامى لوثروب ستودارد جـ ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣

(٢) نفس المرجع ص ١٦٤

ج ـ الاخوان المسلمون (١)

ومن اثر الالتزام بالكتاب والسنة ظهور حركة الاخوان المسلمين فى مصر التى تكمن فيها روح الاسلام الحنيف والتى تدافع عن كرامة الامة الاسلامية واعادة مجد الاسلام كما ينبغى ، وذلك بعد ان سيطرت الاضطرابات الفكرية والمعنوية على الامه الاسلامية وبعد ان كانت قوة البشر تهيمن على القانون الالهى فى شؤن حياة الامة وتسلط الاستعمار على حياتها .

وذكر الشيخ حسن البنا فى مذكراته " وعقب الحرب الماضية وفى هذه الفتره التى قضيتها بالقاهره ، أشتد تيار موجة التحلل فى النفوس وفى الاراء والافكار باسم التحرر العقلى ، ثم فى المسالك والاخلاق والاعمال باسم التحرر الشخصى ، فكانت موجة الحاد واباحية قويه جارفة طاغية ، لا يثبت امامها شيئ . تساعد عليها الحوادث والظروف .

لقد قامت تركيا بانقلابها الكمالى واعلى مصطفى كمال باشا بالغاء الخلافه ، وفصل الدين عن الدولة فى امة كانت الى بضع سنوات فى عرف الدنيا جميعا مقر امير المؤمنين واندفعت الحكومة التركية فى هذا السبيل فى كل مظاهر الحياة .

ولقد تحولت الجامعة المصرية من معهد عالى الى جامعة حكومية تديرها الدولة وتضم عددا من الكليات النظامية ، وكانت للبحث الجامعى والجامعة حينذاك فى رؤوس الكثيرين صورة غريبة ، مضمونها أن الجامعة لن تكون جامعة علمانية الا اذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه ، واندفعت وراء التفكير المادى المنقول عن الغرب بحذافيره وعرف أساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل قيود .

وأنشئ فى شارع المناخ ما يسمى المجمع الفكرى تشرف عليه هيئة من التيوصوفيين وتلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجم الاديان القديمة وتبشر بوحى جديد ، وكان خطباؤه خليطا من المسلمين واليهود والمسيحين وكلهم يتناولون هذه الفكره الجديدة من وجهات النظر المختلفه .

وظهرت كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينصح بهذا التفكير الذى لا هدف له الا ـ

---

(١) تأسست حركة الاخوان المسلمين فى ذى القعده ١٣٤٧ الموافق مارس ١٩٢٨ بمصر ـ مذكرات الدعوة والداعية لشيخ حسن البنا ص ٧٢

اضعاف اثراى دين ، او القضاء عليه فى نفوس الشعب لينعم بالحرية الحقيقية فكريا وعمليا فى زعم هولاء الكتاب والمؤلفين (١) .

وفى غضون هذه الموجة ظهرت حركة الاخوان المسلمين التى تراسها شيخ حسن البنا كحركة ذات منهج وهدف فى مجال العمل الاسلامى .

" الخط الذى يلتزمه حسن البنا هو خط رسول الله صلى الله علية وسلم يواجه الجاهلية فى عقر دارها ، فى مقهى حين ينسى الله ويعبد الشيطان ثم يأخذ الناس هنية هنية الى المسجد (٢) .

وكان من ضمن خطة حسن البنا تحرير البلاد الاسلامية من براثن الاستعمار وسيطرة الاجانب ومساعدة المسلمين بجميع القوى المعنوية والمادية لتحرير بلادهم .

ولما اتفق الفقهاء والاخوان المسلمون فى رسائلهم ان العدو الكافر اذا داست اقدامه ارض المسلمين وجب على المسلمين جهادهم والزود عن حياتهم وعلى جيرانهم ان يمدوهم بما يحتاجونه من مال وسلاح ورجال حتى ينتصروا ، ولهذا كان تحرير فلسطين كتحرير مصر كتحرير السودان وسوريا وكل ارض اسلامية محتله ، بدخيل الاجنبى مغتصب، امرا اسلاميا واجبا ، وفلسطين مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم تهفوا اليها قلوب المؤمنين جميعا (٣) .

من اجل هذا تبنى الاخوان قضية فلسطين لانها خط الدفاع الاول عن مهد الاسلام والحرمين الشريفين ، فدرسوا ارض سينا وفلسطين جغرافيا وجيولوجيا ، ودرسوا احوال الناس فيها وطبائعهم ومشكلاتهم وانصهروا فيهم وقاموا يوم فلسطين بشرح القضية وجعلوا من صحفهم ودورهم ومساجدهم منابر للاعلام وسعوا فى انشاء هيئة وادى النيل العليا لانقاذ فلسطين ، وجهزوا ستة كتائب ذهبت للقتال فى فلسطين ، وجمعوا للفلسطينيين الاسلحه بمعرفة الجامعة العربية والهيئة العليا للدفاع عن فلسطين ، وابدوا من البطولة فى فلسطين ما سارت بذكره الركبان .

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية لشيخ حسن البنا ص ٤٩ - ٥٠

(٢) لماذا اغتيل حسن البنا ، عبد المتعال جبرى ص ٣١ ط : ١٣٩٨٢
دار الاعتصام بالقاهره

(٣) المرجع السابق ص ١١٦

وكان سببا من اسباب الضغوط الدولية على الحكومات العربية جميعها لحل جماعة الاخوان المسلمين واعتقالهم والعمل على شغلهم بالرغيف ، وظل الاخوان يقاتلون حتى كانت المأساه بالهدنه الدائمه (١) .

اضافة الى ذلك فان دعوة الاخوان كانت تعمل فى اوساط الناس بجميع طبقاتهم من سن الشباب الى الشيوخ حتى اصبحوا ملتزمين بتعاليم الاسلام ، وفى حقل الشباب مثلا فان دعوة الاخوان تربى الشباب تربية اسلامية الى ان يعرفوا الاسلام كمنهج حياة يجب تطبيقه .

لذا فهم يجدون الصورة التطبيقية للاسلام النقى من الخرافة والبدعه والقصور وسائر التشويهات فى اقرانهم من الشباب فلا يسعهم الا حسن المصاحبه ثم التأخى تحت رايه الاسلام .

وفى واقع الامر فان حركة الاخوان المسلمين هى الحركة الاصلاحية التى تستهدف الى ايجاد الجيل المؤمن الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والعمل به والرجوع الى الاسلام فى كل الاحوال .

لم يكن لحسن البنا من غاية على الارض الا قيام المجتمع الاسلامى بكل اسراره وعلانيته بكل ما فى نوايا المسلمين من خير وبكل ما فى علانيتهم من نعمة ، بكل انواره واشراقاته ، بكل صلاحياته وهداياته وعلى هذا تقوم الحكومات الاسلامية (٢) .

فانها دعوة الى الايمان والعمل به ، وعلى هذا الاساس المتين بنيت عليه نهضة الامه الاسلامية .

وقد اكد الشيخ حسن البنا نفسه هذا المعنى ، هذا يتبين فى اجابته على سؤال " الى اى شيئ تدعو الناس ؟ فقال " ندعو الى الايمان اولا وبالعمل ثانيا " .

الايمان بأن الاسلام وضع للعالم النظم التى تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن و تجنب ما ستتبعه من خطر ويلات .
والعمل على ان تكون قواعد الاسلام هى الاصول التى تبنى عليها نهضة الشرق الحديث

---

(١) المرجع السابق ص ١١٧ - ١١٨

(٢) حسن البنا استاذ الجليل عمر التلمسانى ص ٨٤

فى كل شأن من شؤن الحياه .

والاخوان كما يقول الشيخ حسن البنا - لا يختصون بهذه الدعوه قطرا دون قطر من الاقطار الاسلامية ، لكنهم يرسلونها صيحه ، يرجون لها ان تصل الى اذان القاده والزعماء فى كل اقطار يدين ابناؤه بدين الاسلام .(١)

وكتب المفكر الفرنسى أرسست رينان استاذ الدراسات العربية الاسلامية بالسوربون باريس وهو حفيد رينان الكبير عن دعوة الاخوان المسلمين يقول
ان هذه الكلمات عميقة البحث والقصد ، وهى لا شك مستمده من نفس المنهج الذى رسمه محمد - صلى الله عليه وسلم - ونجح فى تنفيذه فأسس به امة ودولة ودينا ، وقد زيد فيها بما يناسب روح العصر مع التقيد بروح الاسلام . وفى عقيدتى انه لا نجاح للمسلمين الا باتباع نفس السبيل التى سلكها محمد وصحبة ، غير ان تحقيق هذا مع الحال التى عليها المسلمون بعيد وليس معنى هذا القنوط والعقود عن العمل .(٢)

وعلى هذا المنهج تسير دعوة حسن البنا كحركة ذات الصبغة الاسلامية الملتزمه بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واخذت تزدهر من حين الى اخر والتى شملت البلاد العربية والاسلامية بلا استثناء ، والتى تعد اوسع حركة اسلامية شاملة عرفها المسلمون فى العصر الحديث(٣).

---

(١) حسن البنا الرجل والفكر محمد عبد الله سمان ص ٦٥ - ٦٦

(٢) نفس المرجع ص ٦١

(٣) معالم الثقافة الاسلامية د / عبد الكريم عثمان ص ١١٥

الخاتمة

وبعد ان بذلت الجهد فى اعداد البحث فأنى قد توصلت الى بعض النقاط المهمه نتيجة لدراسة هذا الموضوع ، ومن بين النتائج التى توصلت اليها .

١ - ان الالتزام بالكتاب والسنة معناه التمسك والاعتصام بالقران الكريم والسنة النبوية قولا وعملا واعتقادا ، وقد اوردت الايات القرانية والاحاديث النبوية الموضحة هذا المعنى كما فى قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا "(١) وقوله " قد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها "(٢) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى "(٣) .

٢ - هذا القران الكريم الذى بين ايدينا رحمة وشفاء لما فى القلوب كما فى قوله تعالى " وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين "(٤) وهو النعمه العظمى والرحمة المسداه للمؤمنين كما قال تعالى " لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين "(٥) .

اتضح به للناس سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما حواه من صحيح العقيدة وما فصل فيه من الاحكام وبين فيه من الاخلاق والادابوسع للعقول طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار فهو بحق نبراسا يهتدى به ونورا يستضاء به فى غياهب الجهل من اعرض عنه هلك ومن طلب العلم فى غيره ضل هو حبل الله المتين ، ونوره المبين لا تنقضى عجائبة ولا تنتهى غرائبة من احكم به عدل ومن قال به صدق ومن عمل به نجا ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم .

٣ - ومن متطلبات الالتزام التمسك بالعقيدة الصحيحه من ايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه والقدر وخيره وشره واليوم الاخر كما اشار اليه الرسول صلى اللهعليه وسلم . ولا يكون الانسان مؤمنا الا اذا أقر اقرارا جازما بهذه العقيدة فتكون راسخه فى قلبه لا تتزعزع بتقلب الاحوال

---

(١) سورة ال عمران الاية ١٠٣

(٢) سورة البقرة الاية ٢٥٦

(٣) الجامع الصغير فى احاديث البشير للسيوطى جـ ١ ص ١٣٠

(٤) سورة الاسراء الاية ٨٢

(٥) سورة ال عمران الاية ١٦٤

وصروف الدهر والايام .

فيكون على المؤمن ان يتمسك بهذه العقيدة الصحيحه الصافية والتى لا تكدرها شوائب الشرك وانواع الجهل والخرافات ، واول ما يؤمن به العبد بربوبيته تعالى واسمائه وصفاته والوهيته ، حتى يتم الخضوع والاستسلام لله الواحد القهار ، كما قال تعالى مخبرا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم " ان صلاتى ونسكى ومحيايا ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين "(١) . ولنا فى رسول الله اسوة حسنه .

٤ - وعلى هذه العقيدة الصحيحه يبنى عليها العمل الصالح الذى يتقرب به العبد الى الله سبحانه وتعالى - وهذا العمل الصالح لابد ان يكون فى اطار الشرع الذى حدده الرسول صلى الله عليه وسلم فى منهاجه القويم وسنته الشريفه - والعمل الصالح جامع لكل ما يحبه الله ورسوله من الاقوال والافعال ، وفى مقدمته العبادات المشروعة التى وردت فى حديث جبريل وهى الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فهى من اركان الاسلام التى لا يجوز التهاون بها مطلقا أو التقليل من اهميتها ، وهذه العبادات لها اثر عظيم فى تكوين الشخصية الاسلامية وتقويم السلوك لدى الفرد " لان المسلم الحق انسان لا مثيل له فى قوة الشخصية فى العالم كله ، بفضل صلته بالله واعتزازه بهذه الصله "(٢)

٥ - ومن دعائم الالتزام بالكتاب والسنة التمسك بالاخلاق الفاضله التى من اجلها بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة والسلام " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق "(٣) فبالاخلاق الفاضله تزدهر الامم وتقوى الشعوب كما تنهار الحضارات وتزول الامم اذا اعوج السلوك وفسدت الاخلاق كما قال الشاعر : انما الامم الاخلاق ما بقيت فأن هموذهبت اخلاقهم ذهبوا .

٦ - وبالاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة يكون الانسان عنصرا صالحا فى المجتمع وقدوة ليقتدى به فى اقواله وسلوكه ، فيكثر اقبال الناس عليه مما يسهل عليه دعوتهم الى الله سبحانه وتعالى وحملهم على طريق الحق وارشادهم وتوجيههم بالحكمه والموعظة الحسنة .

---

(١) سورة الانعام الاية ١٦٢ - ١٦٣

(٢) الاسلام لسعيد حوى ص ١٠٢

(٣) انظر مسند احمد بن حنبل جـ ٢ ص ٣٨١ وكتاب كشف الخفاء ومزيل الالباس للشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى جـ ١ ص ٢١١

٧ ـ وقد كان المسلمون الاوائل سادة العالم وقادته عندما تمسكوا بمبادئ الاسلام قولا وعملا حاملين رايات الاسلام فى مشارق الارض ومغاربها حتى دانت لهم الدنيا فأقاموا حضارة الاسلام الخالده التى اسعدت حقبة من الزمان فنهلوا من معارفها ولا تزال اثارها باقية الى يومنا هذا .

٨ ـ اذن فالمسلمون واجب عليهم اليوم ان يستمدوا من هذا المنبع الصافى وان يطبقوا هذا الدين عمليا فى حياتهم حتى تتسم حياتهم بالقوه والعزه . وسبيل ذلك ان تكون العقيدة الصحيحة على راس كل عمل يقومون به . وبهذا يمكنهم ان يصلوا الى الهدف المنشود .

٩ ـ كما يجب على المسلمين ان يستمدوا العون من الله عز وجل بالتوكل والاعتماد عليه اولا ثم الاعتماد على انفسهم ليكون لهم الحظ الوافر فى الدنيا والاخرة ان اخلصوا نيتهم مع الله وتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم يكون لهم النصر والتمكين فى الارض . ما داموا اوفياء لله ورسوله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، ولكن المسلمين اليوم عندما تخلوا عن دينهم وعقيدتهم اورثهم الله الذل والمهانه فى الارض مصداقا لقوله تعالى " وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة "(١) .

١٠ ـ الدعوة الى الله تعالى ليست مقالا تكتب ولا كلمات تقال فحسب وانما تتبعها الاعمال الصالحة والقدوة الحسنة التى تؤثر تأثيرا بالغا فى نفوس المدعوين ، لذلك لابد ان يلتزم المسلمون بتلك المبادئ السامية والاخلاق الرفيعة حتى يتسنى لهم نشر هذه الدعوه كما أمر بها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فالالتزام بالكتاب والسنة امر واجب وعنصر هام فهو الاول والاخر فى نجاح الدعوه الى الله .

والى هنا ينتهى هذا البحث راجيا من الله سبحانه ان يجعل عملى صالحا لوجهه خالصا له ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله واصحابه أجمعين ، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة التوبه الاية ٧٤

المصـادر

١ ـ القران الكريم

حرف الالف

٢ ـ احياء علوم الدين لابى حامد محمد بن محمد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) مع مقدمة فى التصوف الاسلامى ودراسة تحليلية لشخصية الغزالى وفلسفته فى الاحياء بقلم الدكتور بدوى طبانه ـ الناشر ـ دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى بمصر .

٣ ـ الاخلاق ، احمد امين ، الطبعه الثالثه ١٩٦٩ .
الناشر : دار الكتاب العربى .

٤ ـ الاخلاق الاسلامية وأسسها عبد الرحمن حسن حنبكه الميدانى الطبعه الاولى ١٣٩٩ هـ دار القلم . دمشق .

٥ ـ الاذكار المنتخبه من كلام سيد الابرار صلى الله عليه وسلم ، تأليف الامام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى (ت ٦٧٦ هـ)وعليه شرح وجيز من شرح العلامه ابن علان . الطبعه الرابعه ١٣٧٥ — مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

٦ ـ ارشاد عقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم تأليف ابى السعود محمد بن مصطفى العمادى . (ت ٩٨٣ هـ) دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع

٧ ـ الاسلام . تأليف سعيد حوى . الطبعه الثانيه ١٣٩٩ هـ . دار ـ الكتب العلمية بيروت .

٨ ـ الاسلام عقيدة وشريعة تأليف الشيخ محمود شلتوت . الطبعه الثامنه ١٣٩٥ هـ . دار الشروق القاهره .

٩ ـ الاسلام فى قفص الاتهام . تأليف شوقى ابو خليل ، الطبعه الثانيه ١٣٩٤ هـ ، دار الفكر .

١٠ - الاسلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب - تأليف احمد بن حجر ال بوطامى ، الطبعه الثالثه ١٣٩٨ هـ ، الناشر : مكتبة الثقافه الدوحه قطر .

١١ - أصول الدعوه تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان الطبعه الثالثه ١٣٩٦ هـ مكتب المنار الاسلامية .

١٢ - الامام محمد عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى تأليف عبد الحليم الجندى الناشر دار المعارف القاهره .

حرف الباء

١٣ - البداية والنهاية ، تأليف عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ)الطبعه الثالثه ١٩٧٩ م ، الناشر ،مكتبة المعارف بيروت .

حرف التاء

١٤ - تاريخ الامم والملوك ، تأليف ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،الناشر : دار سويدان - بيروت .

١٥ - تاريخ الاسلام السياسى ،تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن الطبعه السابعه ١٩٦٤ م . مطبعة السنه المحمدية ، القاهره .

١٦ - تاريخ الشعوب الاسلامية تأليف كارل بروكلمان نقله الى العربية نبيه امين فارس الطبعه الخامس ١٩٦٨ دار العلم للملايين - بيروت .

١٧ - تاريخ الغرب والاسلام منذ العصور القديمه حتى العهد العثمانى تأليف انوار الرفاعى ،الناشر : دار الفكر . ١٩٧١

١٨ - تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى

تأليف ابى العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت١٣٥٣هـ) ضبطه وراجعه عبد الرحمن محمد عثمان الطبعه الثالثه ١٣٩٩ هـ ،دار الفكر للطبعه والنشر .

١٩ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للامام زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق محمد محمد عماره ، الطبعه الثانيه ١٣٨٨ هـ الناشر دار احياء التراث العربى بيروت .

٢٠ - تعليم الصلاه - تأليف محمد محمود الصواف الطبعه الثالثه عشر . الناشر دار الاعتصام .

٢١ - تفسير آيات الاحكام تأليف محمد على السايس . مطبعة محمد على صبيح بالازهار ١٣٧٣ هـ .

٢٢ - تفسير القران الحكيم الشهير بتفسير المنار ، تأليف محمد رشيد رضا الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعه والنشر .

٢٣ - تفسير القران العظيم ، تأليف عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير - القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) .

٢٤ - التفسير الكبير تأليف أبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشى الشافعى الطبرستانى الملقب بفخر الدين الرازى . (ت ٦٠٦هـ) الطبعه الثانية الناشر دار الكتب العلمية طهران .

٢٥ - تنبيه الغافلين تأليف الشيخ نصر الدين بن محمد بن ابراهيم السمرقندى (ت ٣٧٣هـ) وبهامشه بستان العارفين للمؤلف ايضا . مطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ، بمصر .

٢٦ - تهذيب مدارج السالكين ، تأليف الامام ابن قيم الجوزية وهو شمس الدين ابى عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، (ت ٧٥١ هـ) وهذبه عبد المنعم صالح العلى العزى وزارة العدل والشئون الاسلامية - دولة الامارات العربية المتحده مطبعة كاظم دبى .

٢٧ - تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد .
تأليف ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ) الطبعه الرابعه ١٤٠٠ هـ الناشر المكتب الاسلامى .

حـــرف الجـــيم

٢٨ - جامع الصحيح للبخارى هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بـــن المغيره بن بردزبة البخارى الجعفى (ت٢٥٦هـ) طبع عام ١٩٨١ م الناشر المكتبه الاسلامية استنابول ، تركيا .

٢٩ - الجامع لاحكام القران

تأليف القرطبى . هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر بن فرج الانصارى الخزرجى الاندلسى (ت ٦٧١هـ) الطبعه الثالثه ١٣٨٧ الناشر: دار - الكاتب العربية للطباعه والنشر .

٣٠ - جامع البيان فى تفسير القران تأليف ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠ هـ) الطبعه الثالث ١٣٩٨ . دار المعرفه للطباعه والنشر بيروت .

٣١ - الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير . تأليف جلال الدين السيوطـــى (ت٩١١هـ) وبالهامش كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق للامام عبد الرؤف المناوى ، الطبعه الرابعه - الناشر : دار الكتب العلمية .

٣٢ - الجائز والممنوع فى الصيام . تأليف عبد العظيم المطعنى

الطبعه الاولى ١٩٧٥ م الناشر : دار الشروق .

٣٣ - جوامع السيره وخمس رسائل اخرى لابى محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس . الناشر : ادارة احياء السنـــه بباكستان .

حـــرف الحـاء

٣٤ - حاضر العالم الاسلامى تأليف : لوثروب ستودارد الاميريكى نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض، وفيه فصول وتعليقات بقلم الامير شكيب ارسلان . الطبعه الرابعه ١٣٩٤ هـ . دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع .

٣٥ - الحج والعمره تأليف نور الدين عتر ، الطبعه الثانية ١٤٠٢ مؤسسة الرسالـــه بيروت .

٣٦ - حديث رمضان - تأليف السيد حسن الشيرازى الطبعه الاولى ١٣٩٠ . مؤسسة خليفه للطباعه .

٣٧ - الحرية السياسية فى الاسلام ، الدكتور احمد شوقى الفنجرى الطبعه الاولى ١٣٩٣ الناشر : دار القلم ، الكويت .

٣٨ - الحسبه فى الاسلام تأليف شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيميه (ت ٧٢٨ هـ) مكتبة دار البيان بدمشق عام ١٣٨٧ هـ .

حسن البنا الرجل والفكر تأليف محمد عبد الله سمان . الناشر دار الاعتصام .

حرف الخاء

٣٩ - خلق المسلم تأليف محمد الغزالى الطبعه الثامنه ١٣٩٤ الناشر دار الكتب الحديثه القاهره

حرف الدال

٤٠ - دعوة الاسلام ، تأليف السيد سابق ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨

٤١ - الدعوة الاسلامية دعوة عالمية تأليف : محمد الراوى ، دار العربية للطباعه والنشر ، بيروت

٤٢ - الدعوه الى الاسلام بحث فى تاريخ نشر العقيدة الاسلامية ، تأليف سير ، ت ، و ، أرنولد الطبعه الثالثه . مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م

٤٣ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : تاليف محمد بن علان الصديقى الشافعى الاشعرى المكى (ت ١٠٥٧هـ) تحقيق استاذ محمود حسن ربيع . الطبعه الاخيره ١٣٩٨ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

حرف الراء

٤٤ - الروضه النديه فى شرح العقيدة الواسطية تأليف زيد بن عبد العزيز بن فياض . المطبعه اليوسقية الطبعه الثانيه ١٣٨٨ . الناشر : مكتبه الرياض الحديثه ، بالرياض .

٤٥ - الروض الانف فى شرح السيره النبوية لابن هشام . للامام المحدث عبد الرحمن السهيلى (ت ٥٨١ هـ) تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل . المطبعه الاولى ١٣٨٧ . دار النصر للطباعه .

٤٦ - رياض الصالحين للامام ابى زكريا يحى بن شرف النووى الدمشقى (ت ٦٧٦هـ) حققه عبد العزيز رباح واحمد يوسف الدقاق . الطبعه الرابعه ١٤٠١ هـ ، توزيع الرئاسة العامه لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوه والارشاد المملكه العربية السعودية .

حرف السين

٤٧ - سنن ابن ماجه تأليف ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، الناشر : عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٤٨ - سنن ابى داود لابى داود ، سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى (ت ٢٧٥ هـ) وطق حواشية محمد محى الدين عبد الحميد ، نشرته دار احياء السنه النبوية .

٤٩ - سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح للترمذى ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذى (ت ٢٩٧ هـ) . ضبطه وراجع اصوله عبد الرحمن محمد عثمان الناشر محمد عبد المحسن الكتبى . المكتبه السلفية بالمدينه المنوره .

٥٠ - السياسه الشرعية أو نظام الدوله الاسلامية . تأليف الشيخ عبد الوهاب خلاف ، الناشر دار الانصار بالقاهره ١٣٩٧ .

٥١ - السياسه الشرعيه فى اصلاح الراعى والرعيه
تأليف : شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيميه (ت ٧٢٨هـ) .
الناشر : دار الكاتب العربى

٥٢ - السيره النبوية تأليف ابى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت٢١٣هـ) تحقيق مصطفى السقا ، دار الكنوز الادبية .

حـــرف الشـــين

٥٣ - شرح العقيدة الطحاوية والتوضيح زهير الشاويش الطبعه السادسه ١٤٠٠ هـ المكتب الاسلامى بيروت .

٥٤ - شرح الغشنى على الاربعين النووية للشيخ احمد بن الشيخ حجازى الغشنى ، وبهامشها كتاب السبعيات فى مواعظ البريات لابى نصر محمد بن عبد الرحمن . الناشر ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح واولاده بمصر .

٥٥ - الشيخ محمد عبد الوهاب عقيدته السلفية للشيخ احمد بن محمد ال - بوطامى بن على ، قدم له وصحيح عبد العزيز بن عبد الله الباز . الطبعه الثانيه ، مطابع الفلاح . الرياض .

حـــرف الصـــاد

٥٦ - صحيح مسلم للامام مسلم : ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابور (ت ٢٢١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى . نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوه والارشاد المملكه العربية السعودية .

٥٧ - صحيح مسلم بشرح النووى للامام النووى محى الدين ابو زكريا يحى بن شرف النووى الدمشقى (ت ٦٧٦ هـ) .
الطبعه الثالثه ، ١٣٩٨ هـ الناشر دار الفكر ، بيروت .

٥٨ - الصحاح تاج اللغه وصحاح العربية تأليف اسماعيل بن حمد الجوهرى تحقيق عبد الغفار عطار . الطبعه الثانى ١٣٩٩ دار العلم للملايين .

٥٩ - صفة الصفوة تأليف جمال الدين ابى الفرج ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) حققه وعلق عليه محمود فاخورى الطبعه الاولى ١٣٨٩ .

٦٠ - الصلاة كما وردت فى الكتاب والسنه وعلى مذاهب الاربعه تأليف محمد اسماعيل ابراهيم . دار الفكر العربى .

حـــرف الطـــاء

٦١ - الطبقات الكبرى لابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهـــــرى المكنى بابى عبد الله (ت ٢٣٠ هـ)
الناشر دار الصادر بيروت .

حـــرف العـين

٦٢ - العالم الاسلامى والاستعمار السياسى ، انوار الجندى الطبعه الاولى ، ١٩٧٠ م . الناشر دار المعرفـــــه

٦٣ - العباده فى الاسلام تاليف ، الدكتور محمد عبده الطبعه الثالثه مكتبة الفلاح ، الكويت .

٦٤ - العبادة فى الاسلام تأليف الدكتور يوسف القرضاوى الطبعه الرابعه ١٣٩٥ ، الناشر مؤسسة الرساله بيروت .

٦٥ - العبودية تأليف شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيميـــــة (ت ٧٢٨ هـ) الطبعه الخامسه ١٣٩٦ ، الناشر المكتـــــب الاسلامى بيروت .

٦٦ - عدة المسلمين فى معانى الفاتحه ، تأليف محمد محمود الصواف الطبعه الاولى ١٣٨٨ .

٦٧ - عظمة الاسلام ، تأليف محمد عطية الابراشى ، الطبع والنشـــــر مكتبة الانجلو المصرية القاهره ١٣٨٧ .

٦٨ - العقائد الاسلامية تأليف السيد سابق الناشر دار الفكر بـــــيروت ١٣٩٨ .

٦٩ - عقيدة المؤمن تاليف ابو بكر جابر الجزائرى الطبعه الثالثه ١٤٠٢ - الناشر دار الشروق .

٧٠ - علم أصول الفقه . تأليف الشيخ عبد الوهاب خلاف الطبعه العاشره ١٣٩٢ الناشر دار العلم . الكويت .

٧١ - عون المعبود شرح سنن ابى داود لابى طيب محمد شمس الحق العظيم ابادى مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان الطبعه الثانية ١٣٨٩ - الناشر المكتبة السلفية بالمدينه المنوره .

حرف الفاء .

٧٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى تأليف الامام محمد بن على بن حجر العسقلانى (ت٨٥٢ هـ) تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن الباز مكتبة الرياض الحديثه الرياض .

٧٣ - فتح القدير تاليف محمد بن على بن محمد الشوكانى (ت ١٢٥٠هـ) دار المعرفه للطباعه والنشر . بيروت .

٧٤ - فتوح مصر واخباره تأليف ابى القاسم عبد الرحمن بن عبدالله عبد الحكم طبعة بالاوفست ، الناشر مكتبة المثنى - بغداد

٧٥ - فقه السنه السيد سابق . الطبعه الخامسه ١٤٠٢ هـ . دار الفكر للطباعه والنشر بيروت .

٧٦ - فلسفه الاخلاق فى الاسلام " تاليف محمد جواد مغنية الطبعه الاولى ١٩٧٧ دار العلم للملايين - بيبروت .

٧٧ - فى ظلال القران - تأليف سيد قطب (ت ١٩٦٦ هـ) الطبعه الشرعية الثامنه ١٣٩٩ هـ .

حرف القاف

٧٨ - القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازى الفيروز ابادى (ت٨١٧هـ) الناشر المطبعه الحسينية المصرية الطبعه الثانية ١٣٤٤ .

٧٩ - قبس من نور محمد صلى الله عليه وسلم . تأليف الدكتور محمد فائز الملط الطبعه الثانيه ١٣٩٤ هـ . توزيع دار الكتب العربية .

حـــرف الكـــاف

٨٠ - الكامل فى التاريخ لابن الاثير ، عز الدين ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ) الناشر دار صادر بيروت ١٣٩٩ .

٨١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل . تأليف ابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (ت ٣٢١هـ)دار المعرفه للطباعه والنشر بيروت .

٨٢ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر فى الاحاديث على السنه الناس تاليف اسماعيل بن محمد العجلونى (١١٦٢ هـ) الطبعه الثالثه ١٣٥١ هـ - الناشر دار احياء التراث العربى بيروت .

٨٣ - كيف انتشر الاسلام تأليف مؤيد الكيلانى الفناشر دار الكاتب العربى بيروت .

حـــرف اللام

٨٤ - لسان العرب لابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المنظور الافريقى المصرى (ت ٧١١ هـ) دار الصادر بيروت .

٨٥ - لماذا اغتيل حسن البنا تأليف عبد المتعال الجبرى . الطبعه ١٣٩٨ - الناشر دار الاعتصام بالقاهره .

حـــرف المـــيم

٨٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، تأليف ابى الحسن على الحسنى - الندوى الطبعه العاشره دار الانصار بمصر .

٨٧ - مبادئ الثقافه الاسلامية تاليف محمد فاروق النبهان . الطبعه الاولـــى ١٣٩٤ الناشر دار البحوث العلمية - الكويت .

٨٨ - المجتمع العربى والقومية العربية تأليف محمد كامل ليله الناشر دار الفكـــر العربى ١٩٦٦ .

٨٩ - مجلة الارشاد الكويتية - العدد السادس شهر رجب ١٣٧٣ هـ .

٩٠ - محاضره فى التاريخ الاسلامى والحضاره الاسلامية للطلاب السنه الثالثه قسم الاحتساب والدعوه بالمعهد العالى للدعوه الاسلامية الرياض سنة ١٤٠٢ هـ للدكتور صفوت حامد مبارك .

٩١ - المدخل الى علوم القران ، تأليف الدكتور محمد ابو شهبة ، ذكره الدكتور حسن عبد الحميد عويضة فى كتابه النظم الاسلامية والمذاهب المعاصره دراسة مقارنة الطبعه الثانية ١٤٠١ دار الرشيد للنشر بالرياض.

٩٢ - المدخل الفقهى العام ، تأليف مصطفى احمد الزرقاء . الطبعه التاسعه مطابع الف، باء، الاديب - دمشق ١٩٦٧ .

٩٣ - مذكرات الدعوه والداعيه للشيخ حسن البنا (ت١٩٤٩ م) الطبعه الرابعه ١٣٩٦ المكتب الاسلامى للطباعه والنشر .

٩٤ - مرشد الدعاه ، تأليف الشيخ نمر الخطيب . الطبعه الاولى ١٤٠١ دار - المعرفه للطباعه والنشر.

٩٥ - مستدرك الحاكم . ابى عبد الله الحاكم النيسابورى ويذيله التلخيص للحافظ الذهبى . الناشر مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب

٩٦ - المسلمون فى اوربا فى العصور الوسطى تأليف الدكتور ابراهيم على طرخان - الناشر مؤسسة سجل العرب القاهره ١٩٦٦ .

٩٧ - مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى (ت ٢٤١ هـ) وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال . الطبعه الثانيه ١٣٩٨ الناشر المكتب الاسلامى للطباعه والنشر - بيروت .

٩٨ - مشكاة المصابيح للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى . تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى . الطبعه الاولى ١٣٨٠ هـ

٩٩ - مع الانبياء فى القران . تأليف عفيف عبد الفتاح طباره . الطبعه الخامسه الناشر دار العلم للملايين .

١٠٠ - معالم الثقافة الاسلامية ، تأليف الدكتور عبد الكريم عثمان ، الطبعه الخامسه ١٣٩٨ مؤسسة الانوار للطباعه .

١٠١ - المعجم الصغير ، لابى القاسم سليمان بن احمد بن ايوب اللخمى الطبرانى (ت٣٦٠ هـ) صححه وراجع اصوله عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر المكتبه السلفية المدينة المنوره .

١٠٢ - المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى تأليف مجموعه من المستشرقين - باشراف الاتحاد الاممى للجامع العلمية ، الناشر ، مكتبة بريل فى المدينه ليدن سنة ١٩٣٦ م .

١٠٣ - المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم تأليف محمد فؤاد عبد الباقى . الناشر دار احياء التراث العربى - بيروت .

١٠٤ - معجم متن اللغه ، تأليف احمد رضا الناشر : دار مكتبة الحياة بيروت .

١٠٥ - المعجم الوسيط، تأليف ابراهيم مصطفى واشرف على طبعه عبد السلام هارون مجمع اللغه العربية .

١٠٦ - المفردات فى غريب القران ، لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى (ت٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلانى . الطبعه الاخيره ١٣٨١ مطبعة مصطفى الحلبى واولاده بمصر .

١٠٧ - مكارم الاخلاق تأليف الامام الطبرانى ، ابى القاسم سليمان بن احمد بن ايوب اللخمى الطبرانى (ت ٣٦٠هـ)تحقيق الدكتور فاروق حماده، الطبعه الاولى ١٤٠٠ هـ دار الرشاد الحديثه . الدار البيضاء .

١٠٨ - المقاصد الحسنه فى بيان كثير من الاحاديث الشهيره على الالسنه تأليف شمس الدين ابى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت٩٠٢ هـ) علق حواشية عبد الله محمد الصديق الطبعه الاولى ١٣٩٩ هـ . دار الكتب العلمية بيروت .

١٠٩ - الملهم الموهوب حسن البنا ، استاذ جليل تأليف احمد التلمسانى الناشر دار الانصار .

١١٠ - موسوعة التاريخ الاسلامى والحضاره الاسلامية ، الدكتور احمد شلبى الطبعه الخامسه ١٩٧٨ مكتبة النهضة المصرية - القاهره

حرف النون

١١١ - نظام الحسبه فى الاسلام دراسة مقارنه ، تأليف عبد العزيز بن محمد بن مرشد مطبعة المدينه - الرياض ١٣٩٣ هـ .

حرف الواو

١١٢ - وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية البحوث المقدمه لمؤتمر الفقه الاسلامى عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٣٩٦ ادارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠١ هـ .

حرف الهاء

١١٣ - هداية المرشدين ، تأليف الشيخ على محفوظ .
دار المعرفه للطباعة والنشر بيروت .

١١٤ - هذه سبيلى ، مجلة تصدرها المعهد العالى للدعوه الاسلامية بالرياض العدد الثانى السنة الثانية ١٣٩٩ هـ .

الفهـــرس

المقدمه	١ - ٥
الفصل الاول في معنى الالتزام ومفهومه	٦ - ٢٥
المبحث الاول معنى الالتزام لغـــه	٦ - ٧
معنى الالتزام في القران الكريم	٨ — ١٠
معنى الالتزام في السنه المطهره	١٠ — ١١
معنى الالتزام اصطلاحـــا	١١ - ١٤
المبحث الثاني في اهمية الالتزام بالكتـــاب والسنه	١٥ - ٢٥
الفصل الثاني في اركان الالتزام بالكتاب والسنه	٢٧ - ٧٦
المبحث الاول في الالتزام بالعقيده	٢٧ - ٣٤
تعريف العقيدة	٢٧ - ٣٠
الايمان باللـــه	٣٠ - ٣٠
ربوبية الله تعالى	٣٠ - ٣١
توحيد الاسماء والصفات	٣١ - ٣١
توحيد الالوهيـــــة	٣١ - ٣٢
الايمان بالملائكه والنبيين والكتب المنزلـــه واليوم الاخر والايمان بالقضاء والقدر	٣٢ - ٣٣
المبحث الثاني الالتزام بالعمل الصالح	٣٥ - ٥٩
الصـــلاه	٣٧ - ٤٠
الصـــوم	٤١ - ٤٤
الزكـــاه	٤٥ - ٥٠

الحـــج	٥٠	-	٥٢
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر	٥٣	—	٥٩
المبحث الثالث الالتوام بالاخلاق الفاضله	٦٠	—	٧٦
التعريف بالاخـــلاق	٦٠	—	٦٠
الالتزام بالاخـــلاق	٦٠	—	٦٥
الاخـــــلاص	٦٥	—	٦٧
الصـــــــبر	٦٧	—	٧١
الرحمـــــــه	٧١	—	٧٣
التواضـــــع	٧٣	—	٧٦
الفصل الثالث اثر الالتزام بالكتاب والسنه	٧٧	—	١١١
المبحث الاول اثر الالتزام فى الفرد والجماعه	٧٨	—	٩١
اثر الالتزام فى الفـــرد	٧٨	—	٨٨
اثر الالتزام فى الجماعـــه	٨٩	—	٩١
المبحث الثانى اثر الالتزام فى انتشار الدعوه	٩٢	—	٩٨
المبحث الثالث اثر الالتزام فى تقدم المسلمين وظهور الحركه الاصلاحية	٩٩	—	١١١
تقدم المسلمـــين	٩٩	—	١٠١
ظهور الحركات الاصلاحية	١٠٢	—	١١١
أ ـ الحركه الاصلاحية فى الجزيره العربية	١٠٢	—	١٠٥
ب ـ الدعوه السنوسية فى افريقيـــــا	١٠٥	—	٢٠٧
جـ ـ الاخوان المسلمون	١٠٨	—	١١١
الخاتمه	١١٢	—	١١٤
المصادر			